



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

الرقم التسلسلي :

قسم اللغة والأدب العربي

رقم التسجيل: 13/MD12/040

المديح النبوي بين البوصيري وأحمد شوقي - دراسة موازنة -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

تخصص: أدب عربي حديث

فرع: أدب عربي

الميدان: أدب عربي

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبة:

محمد الصديق بغورة

هاجر دغدغ

تاريخ المناقشة: 2015/06/04

أمام لجنة المناقشة:

رئيسا	- عبد الله بن قرين
مشرفا ومقررا	- محمد الصديق بغورة
ممتحنا	- عبد القادر العربي

السنة الجامعية: 2015 /2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول البوصيري:

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِ اسْتَقْبَالِ بَرِّهِ
وَمُنْذُ الْكُرْمِ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ
تُثَوِّبَ عَمْرٍ مَضَى فِي الشُّعْرِ وَالْخَدَمِ
وَجَدْتُهُ لِخُلَاصِي خَيْرٍ مُتَّزِمِ

يقول أحمد شوقي:

لَقَعْتُ مِنْ مَدْحِهِ حَبْلًا أَعْرَبُهُ
يُنْزِرِي قَرِيضِي زُهَيْرًا حِينَ أَمْدَحُهُ
فِي يَوْمٍ لَا عَرَّ بِرِ الْأَنْسَابِ وَالنُّحَمِ
وَلَا يُقَاسُ إِلَيَّ جُودِي لَدَى هَرَمِ

كلمة شكر

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب الجنة إلا برويتك، فالشكر لك على توفيقك لي بأن يسرت لي سبل هذا العمل، فالحمد لك حتى ترضى والحمد لك بعد الرضا.

أقدم خالص شكري في هذا المقام إلى الوالدين الكريمين وإلى الأستاذ المشرف "بغورة محمد الصديق" لقبوله الإشراف عليّ ولتوجيهاته القيّمة وصبره على إتمام هذا البحث، حفظه الله وجزاه الجنة.

كما أقدم شكري إلى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة محمد بوضياف، وللأستاذة المناقشين الذين تكرموا عليّ وقبلوا قراءة ومناقشة البحث.

وشكرا أقدمه لمحمد ووليد لسهرهما على طباعة هذا العمل وصبرهما على إتمامه، حفظهما الله وجزاهما الجنة.

جزى الله الجميع بالخير الكثير.



بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المعلم الأمين

وبعد:

فشعر المديح النبوي خيوط نورانية تصل ماضي الأدب العربيّ بحاضره، وهو لون أدبي أصيل ساهم في تطويره دخول شعراء معروفين ميدان الانشاد الديني والمديح النبوي عبر عصور مختلفة، بدءاً من حسان بن ثابت ومرورا بالبوصيري ووصولاً إلى أحمد شوقي.

1- إشكالية البحث:

طرح فن المديح النبوي بين البوصيري وأحمد شوقي بعض التساؤلات منها:

- ماذا نقصد بالمديح النبوي وكيف نشأ وتطور عند العرب؟.
- ما المقصود بالبردة مصطلحاً، وهل من قراءة أدبية لبردة البوصيري ونهج البردة لأحمد شوقي؟
- ما الموازنة، وبم يمكن للدراسة الموازنة أن تقدم لنا بين مديح البوصيري ومديح شوقي للرسول عليه الصلاة والسلام من نتائج؟
- اخترت هذا الموضوع لجملة من الدوافع؛ أهمها:
- الرغبة في تقديم دراسة متعلّقة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم تمثلت في المديح النبوي، خاصة لما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من إساءات للرسول عليه الصلاة والسلام.
- انتقاء البوصيري وأحمد شوقي لشهرتهما في المدح النبوي من جهة، ولربط المديح النبوي القديم بالمديح النبوي الحديث من جهة أخرى.
- إدراك حقيقة مغازي التساؤلات التي حملتها الإشكالية السابقة.
- ولا يخفى أنّ للموضوع المذكور أهمية تكمن فيما يلي:

- الموضوع متعلق بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فهو سيرة نبوية عطرة على شكل شعري جميل، يُعرّف بنبيّنا لاسيما في وضع احتجنا فيه للرجوع إلى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه.
- المديح النبوي لون أدبيّ قديم حديث، استطاع الاستفادة من مستجدات العصر دون أن يتغير طابعه الأساس.
- البردة ونهج البردة قصيدتان مشهورتان في تاريخ الأدب العربي، يستفيد منهما القارئ تربويا وتعليميا.

إن أهمية الموضوع جعلتني أفكر في جملة من الأهداف أبرزها:

- تقديم الرسول صلى الله عليه وسلم للقارئ في صورة أدبية، تمثلت في المديح النبوي.
- التعرف على المديح النبوي كعرض شعري، وكشف أسرارهِ وإحداث موازنة بين ما كان عليه سابقا وما هو عليه اليوم.
- خدمة اللغة العربية والشعر العربي بإحياء القديم وعرض الحديث.
- لا تتأتى معالجة الإشكالية السابقة إلا وفق منهج علمي واضح المعالم.
- وقد اعتمدت الأسلوبية إجراءً تحليليا في بحثي.
- قسّمت الخطة فصلين رئيسيين بعد مقدمة ومدخل، فخاتمة.

- مقدمة.

- مدخل:

- أولا: التعريف بالشاعرين.

- ثانيا: الحياة الثقافية في عصري الشعارين.

- ثالثا: المديح النبوي في الشعر العربي.

- الفصل الأول: البردة ونهج البردة -دراسة تحليلية-

- أولا: البردة وأثرها في الشعر.

- ثانيا: قراءة في بردة البوصيري.
- ثالثا: قراءة في نهج البردة لأحمد شوقي.
- الفصل الثاني: بين البردة ونهج البردة -دراسة موازنة-
- أولا: ماهية الموازنة.
- ثانيا: موضوعات المديح النبوي بين البردة ونهج البردة.
- ثالثا: الخصائص الفنية والفكرية بين البردة ونهج البردة.
- رابعا: جوانب التميز بين البوصيري وأحمد شوقي.
- الخاتمة.

وقد كانت طريقة عملي في بعض المواضيع كالتالي:

1- بعض الإحالات:

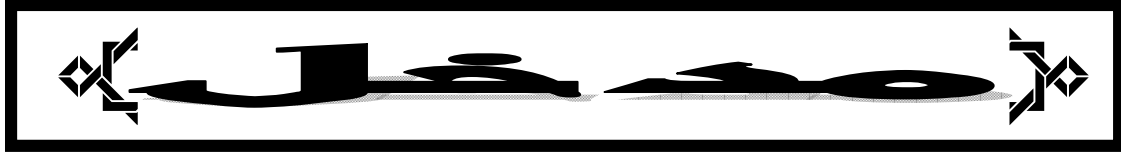
اعتمدت القرآن الكريم ومجموعة من المصادر والمراجع منها:

ديوان البوصيري والشوقيات، المدائح النبوية لزكي مبارك، ثلاثية البردة لحسن حسين.

واجهتني عدة صعوبات في انجاز عملي أهمها:

- كبر الموضوع وتشعبه بالمقابلة ضيق الوقت للانشغال بالدراسة في أول الموسم.
- غلبة الجانب التطبيقي على البحث، فطول القصيدتين يحتاج إلى وقت أطول للفهم والتركيز.

ختاما أدعو الله تعالى أن يوفقني لإتمام هذا البحث، وعرض صورة طيبة على موضوعه، متمنية أن تتال هذه الدراسة البسيطة الرضا والقبول، وليغفر لي القارئ ما أراني قصرّت فيه...فإني طالبة علم على بداية الطريق...وما توفيقني إلا من عند الله. أشكر الأستاذ المشرف "بغورة محمد الصديق" الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته لإتمام هذا البحث، فجزاه الله خيرا.



أولاً: التعريف بالشاعرين.

ثانياً: الحياة الثقافية في عصري الشاعرين.

ثالثاً: المديح النبوي في الشعر العربي.

أولاً: التعريف بالشاعرين.

1- البوصيري (608هـ - 696هـ):

ولد شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري يوم: الثلاثاء الأول من شوال عام 608هـ،¹ من أصل مغربي، يُنسب تارة إلى بوسير-إحدى قرى مصر- لأن أمه منها، وتارة إلى دلاص بلدة والده، ومن ثم قيل له البوصيري أو الدلاصي،² لكنه اشتهر بالبوصيري.

عاش الشاعر في ظلال الدولة الأيوبيّة وفي أوائل دولة المماليك.³

وقد عاصر سلطانيين عظيمين من سلاطين المماليك هما: السلطان "بيبرس" (ت696هـ) الذي هزم التتار، والسلطان "قلاوون الأشرف" (ت623هـ) الذي تم على يده جلاء الصليبيين عن مدينة عكا.⁴

بدأ البوصيري حياته بحفظ القرآن الكريم، ثم جاء إلى القاهرة فالتحق بمسجد الشيخ عبد الظاهر، حيث درس العلوم الدينية وتعمق في السيرة النبوية، وبعدها أقبل على التصوف فدرس آدابه وأسراره، وقد تلقى دروسه عن أبي العباس المرسي (ت685هـ) فتأثر البوصيري بتعاليمه، فكان ممن تشرب روح أبي العباس حتى قيل: إنه خلع على البوصيري الشعر.⁵

¹ علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1995م، ص80.

² عبد المنعم خفاجي: التصوف في الإسلام وأعلامه، ط1، دار الوفاء، مصر، 2002م، ص44.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ محمد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، دار هومة، الجزائر، 2010م، ص47.

⁵ عبد المنعم خفاجي: التصوف في الإسلام وأعلامه، مرجع سابق، ص45.

ظهرت ملامح الصوفية في شعر البوصيري، واحتل منزلة عالية بين أعلام التصوف.

نشأ في أسرة فقيرة فاضطر إلى طلب الرزق منذ صغره، فزاول كتابة الألواح التي توضع شواهد على القبور، ثم أخذ يتقرب من الأمراء ويمدحهم بشعره، فعرضت عليه وظيفة الحسبة بالقاهرة واعتذر لجهله بها، ثم كاتباً ببليس، لكنه لم يدم في وظيفته لأن نفسه لم تطب لها، فقرر أن يسلك مسلك الصوفية.¹

خرج البوصيري من القاهرة منتقلاً من مكان إلى آخر، لكنه رجع آخر المطاف إليها وفتح كتابه الذي كان قد أغلقه منذ مدة لربحه الزهيد منه.²

لقد أخفق شاعرنا في حياته العملية حسب ما مرّ علينا سابقاً؛ حيث مارس عدة أعمال ولم يستقر في عمل واحد.

وفي أواخر حياته انتابته الأسقام، فكان يُصاب بالإغماء لمدة طويلة حتى يُظن أنه مات³، إلى أن وافته المنية بالإسكندرية عام 696هـ، دفن بها وضريحه هناك مشهور.⁴

كان البوصيري من أشهر شعراء عصر المماليك، ويمكن تقسيم شعره إلى:

شعر اجتماعي بسيط وشعر في المديح النبوي قوي رصين.

ومن عجب شعره أن أغلبه لا يمتاز بجودة ولا ببلاغة ولا بروعة كبيرة، لكن مدائحه

النبوية قد نالت من البيان والبلاغة أعلى نصيب.⁵

¹ علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، مرجع سابق، ص 91.

² المرجع نفسه، ص 95.

³ المرجع نفسه، ص 101.

⁴ محمد شلبي: شرح الهمزية في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم، مكتبة الآداب، مصر، 1998م، ص 3.

⁵ عبد المنعم خفاجي: التصوف في الإسلام وأعلامه، مرجع سابق، ص 46.

وأهم ما عنده في المديح النبوي (البُرْدَة) وتعدّ مصدر وحي لكثير من القصائد التي
 أنشئت بعد البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وله (الهمزية) المسمّاة أم
 القرى.¹

وقد امتازتا بدقة معانيهما ورقة مبانيهما ورفعة أسلوبهما.

يقول في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

أَمَادِحُ فَيْكَ أَمْ تَسْبِيحٌ *** لَوْلَاكَ مَا غَفَرَ الذُّنُوبَ مَدِيحُ

حَدَّثْتُ أَنْ مَدَاحِي فِي الْمُصْطَفَى *** كَفَّارَةٌ لِي وَالْحَدِيثُ صَحِيحُ

يَانْفَسُ دُونَكَ مَدْحَ أَحْمَدَ إِنَّهُ *** مَسِكٌ تَمْسِكُ رِيحَهُ وَالرُّوحُ²

ومن شعره الاجتماعي قوله يهجو عامل أسوان:

أَنْظُرْ بِحَقِّكَ فِي أَمْرِ الدَّوَاوِينِ *** فَالْكَُلُّ قَدْ غَيَّرُوا وَضَعَ الْقَوَانِينِ

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ عَلَيَّ مَا كُنْتَ تَعْهَدُهُ *** إِلَّا تَغْيِيرٌ مِنْ عَالٍ إِلَى دُونَ

نَالُوا مَنَاصِبَ فِي الدُّنْيَا وَأَخْرَجَهُمْ *** حُبَّ الْمَنَاصِبِ فِي الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ³

قدّم البوصيري في العصر المملوكي شعرا كثيرا اخترت منه أبياتا؛ تركت أثرا في
 قلوب المُتلقين عامة والأدباء خاصة، فكانت لهؤلاء القراء النوعيين آراء وشهادات حوله.

قال ابن تغري بردى (ت874هـ) في المنهل الصافي: " كان البوصيري مختصر الجرم

وفيه كرم، وله شعرٌ فائق، وله في مديح النبي صلى الله عليه وسلم عدة قصائد طنانة "⁴.

¹ محمد أحمد درنيقة: معجم أعلام شعراء المدح النبوي، دار الهلال، لبنان، 2003م، ص357.

² البوصيري: الديوان، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، ط1، مطبعة البابلي، مصر، 1955م، ص193.

³ المصدر نفسه، ص214.

⁴ ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط ومحمود أرناؤوط، دار ابن كثير، سوريا، 1986م، ص432.

يصف ابن تغري الشاعر في القول السابق بضعف الجسد وكرم النفس، لينتقل إلى شعره فيحكم عليه بالجودة مركزاً على مدائحه النبوية.

ويقول عبد المنعم خفاجي في التصوف في الإسلام وأعلامه: "البوصيري إمام المادحين... يحتل منزلة عالية بين أعلام التصوف، وبين شعراء عصره... وقصيداته البُرْدَة والهمزية سارتا مسير الشمس، وضُرب بهما المثل في البلاغة والرّوعة والبيان في كل العصور".¹

خصّص الكاتب جزءاً لا بأس به للحديث عن البوصيري في كتابه السابق، فنراه في قوله هذا يُبين مكانته بين المتصوفة من جهة وبين شعراء عصر المالِك من جهة أخرى، فالبُرْدَة والهمزية -في رأيه- أحسن القصائد إلى يومنا هذا.

ويقول رشيد يوسف عطا الله في تاريخ الآداب: "البوصيري شاعر محسن، مطبوع اللّهجة، متقن النّظم، عذب الألفاظ، منسجم التراكيب، وقد اشتهر بقصائد طنانة في مدح نبي المرسلين، أشهرها القصيدة الميمية المعروفة بالبُرْدَة".²

إن اسم البوصيري قد اقترن باسم المدائح النبوية عامة والبردة خاصة، فكان إمام المادحين بحق. فرحم الله هذا الرجل العظيم الذي ترك عملاً جليلاً يشفع له يوم القيامة. وبعد حديثي عنه في بضع صفحات، سأنتقل الآن للتعريف بأحمد شوقي.

¹ عبد المنعم خفاجي: التصوف في الإسلام وأعلامه، مرجع سابق، ص44.
² علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، مرجع سابق، ص167.

2- أحمد شوقي (1868م-1932م):

ولد أحمد شوقي عام 1868م بالقاهرة، في مهد ترف، من أبوين يملكان أصولاً مختلفة؛ فأبوه يجري فيه الدّم العربي، والكردي، والشركسي، وأمّه يجري فيها الدّم التركي واليوناني.¹ نشأ الشاعر في كفالة جدته لأمّه التي كانت وصيفة في قصر الخديوي إسماعيل²، فتعلّم في الكتاب ثم دخل المدارس الحكومية والتحق بمدرسة الحقوق، ثم بمدرسة الترجمة، وقد أرسله الخديوي توفيق عام 1887م إلى فرنسا ليكمل دراسته، فاطلع على الآداب الأجنبية وزار العديد من البلدان.³

ولمّا رجع شوقي إلى مصر كان الخديوي توفيق قد توفي تاركاً الإمارة لابنه عبّاس حلمي، فقربه إليه وأسند إليه رئاسة القلم الإفرنجي فأصبح شاعرَ الأمير وكلمته.⁴ فكان شاعر بلاط وسم شعر المديح بميئسه الخاص على الرّغم من أنّه رسّخ المديح التقليدي في الشعر لكنه استطاع أن يُعيد له نصّارته الأولى.⁵ نفى شوقي وعائلته إلى اسبانيا، وخلال إقامته بالمنفى لم يفارقه الحنين إلى وطنه⁶، وقد عبّر عن ذلك في معظم قصائده التي نظمها بمنفاه كقصيدتي: من وحي المنفى والرحلة إلى اسبانيا.

¹ يُنظر: محمد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، مرجع سابق، ص277.

² أحمد الإسكندري وآخرون: المفصل في تاريخ الأدب العربي، مكتبة الآداب، مصر، 1923م، ص280.

³ محمد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، مرجع سابق، ص277.

⁴ حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب الحديث، ط1، دار الجيل، لبنان، 1986م، ص437.

⁵ سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2001م، ص75.

⁶ حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص438.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها عاد الشاعر إلى وطنه عام 1919م، فأنصرف للإشراف على أملاكه تاركاً أمور القصر مُتفرِّغاً لقول الشعر، فكان شاعراً حُرّاً غير ملتصق بالقصر؛ قد أبدى اهتماماً واضحاً بالقضايا الوطنية والقومية وتمجيد الإسلام.¹

في عام 1927م أُقيمت لشوقي حفلة تكريمية بالقاهرة، بويع إثرها بإمارة الشعر، ولما ظهرت جماعة أبولو اختير شوقي رئيساً فخرياً لها، على الرغم من أن شعره لا يتناسب مع الاتجاه الرومانسي الذي قامت لأجله الجماعة.²

كان شوقي ذكياً حياً لا يتبسط في حديثه إلا إذا خلا له وجه صديق، يكره الدخول في زحمة الناس، عطف شديد العطف... أقل الناس شكوى من زمانه، شديد الإيمان رغم استهتاره بشبابه.³

وقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على نبوغه منها: موهبته الفطرية وثقافته العميقة حيث تعلم بمدارس مختلفة وأجاد لغات أجنبية، يضاف إلى ذلك أحداث عصره العظيمة.⁴

كما لا يفوتنا الإشارة إلى تنشئته ببيت الملك وإطلاعه على شعر الأوائل أمثال: المتنبي والبُحْثري وأبو تمام وتأثره بهم.

في مساء الثالث عشر من شهر تشرين الأول عام 1932م، انتاب الشاعر سُعالٌ شديد مع ضيق في التنفس مدة نصف ساعة من الزمن، وما لبث أن فارق الحياة، فدُفن مكتوباً على قبره بيتان شعريّان من قصيدته نهج البردة⁵ -إنفاذاً لوصيته-.

¹ محمد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، مرجع سابق، ص278.

² إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، دار المسيرة، الأردن، 2003م، ص65.

³ أحمد الاسكندري وآخرون: المفصل في تاريخ الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص282-284.

⁴ محمد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، مرجع سابق، ص278.

⁵ عبد المجيد الحر: احمد شوقي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996م، ص78.

يا أحمدَ الخَيْرَ لي جاءَ بتسميتي *** وكيف لا يتسامى بالرسولِ سمي؟

إنَّ جَلَّ نَبِيَّيَ عن الغُفرانِ لي أملٌ *** في الله يجعلُنِي في خيرٍ مُعتصمٍ¹

رحم الله هذا الشاعر، الذي استطاع أن يفرض نفسه على الساحة الأدبية في العصر الحديث، بما خلفه لنا من إنتاج أدبي عشق التراث فيه لكنه لم يكن محض المقلد له، بل كان برزخا بين القديم والجديد، بإيقاع عباسي وروح حديثة.

يمكن تقسيم نتاجه إلى: نتاج شعري ونتاج نثري؛ وكلاهما جيد نفيس.

ينحصر نتاجه الشعري في ديوان الشوقيات ويقع في أربعة أجزاء من القطع الكبير²، وأراجيز تاريخية طُبعت بعد وفاته في كتاب (دول العرب وعظماء الإسلام)، وللشاعر ست روايات تمثيلية؛ خمس منها شعرية: مصرع كليوباترا، قمبيز، علي بيك الكبير، مجنون ليلي، عنتره، وله نصين في فن الملهاة لم تُطبعوا: الست هدى والبخيلة³.

أما نتاجه النثري، فينحصر في ثلاث روايات: عذراء الهند، لادياس، ورقة الآس، ومسرحية واحدة هي أميرة الأندلس⁴.

وهناك مقالات اجتماعية متنوعة، جُمعت تحت عنوان (أسواق الذهب)، وقد جرى

فيها الزمخشري (ت538هـ) في كتابه (أطواق الذهب)⁵.

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، ط1، دار صبح، لبنان، 2008م، صص 214-220.

² حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص440.

³ عبد المجيد الحر: أحمد شوقي، مرجع سابق، ص81.

⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ أحمد الاسكندري وآخرون: المفصل في تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص290.

ويُعدّ شوقي صاحب الفكرة الرائدة حول شعر الطفل العربيّ، الذي اختارت منه اليوم المقررات الدراسية وكتب الأطفال نصوصاً منها، كما يُعدّ أول من وضع بذرة المسرح الشعري في تربة الأدب العربي.¹

ومن شعره في مدح النبي صلى الله عليه وسلم قوله:

ولد الهدى فالكائنات ضياء***وفم الزمان تبسم وثناء

الروح والملاّ الملائك حوله***للدين والدنيا به بشراء

والعرش يزهو والحضيرة تزدهي***والمنتهى والسدرّة العصماء²

ومن شعره في المعلم قوله:

قم للمعلم وفه التبجيلا***كاد المعلم أن يكون رسولا

أعلمت أشرف، أو أجلّ من الذي***يبني ويُنشئ أنفساً وعُقولا

سُبْحانَكَ اللَّهُم خير معلّم***علمت بالقلم القرون الأولى.³

إنّ تعريفنا بأمير الشعراء ليأخذ منا الوقت والصفحات الكثيرة، فما ذكرته كان

مختصراً عنه الذي ترك القارئ العربي يتحدث عنه بكل فخر واعتزاز، ومما قيل فيه:

"كان شوقي تعويضاً عادلاً عن عشرة قرون مضت من تاريخ العرب بعد المتنبّي، لم

يظهر فيها شاعرٌ موهوب يصل ما انقطع من وحي الشعر، ويُجدد ما أندرس من نهج

الأدب".

¹ إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، مرجع سابق، ص 70-72.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص 38.

³ المصدر نفسه، ص 199.

" سيظلّ في تاريخ الأدب معلماً بارزاً يشدّ ضوءه كلّما بعدّ العهد به، وماتت عنه
لُجاجة المعاصرة، أو انقشع حجابها " ¹.

صحيح أنّ شوقي قد نهض بالشعر العربي وعدّ أمير الشعراء في العصر الحديث، غير أنّ
الآراء السابقة فيها نوع من المبالغة، فتاريخ الأدب العربي عرف شعراء؛ عوضوا أيضاً
ما فات من ضعف في الشعر، وكانوا نجومًا في سماء الأدب العربي.

" كان شوقي... واسع الاطلاع، عالج بالإضافة إلى الغزل والمدح والموضوعات
التاريخية، كما نظم الأمثال ووضع مسرحيات عديدة، وبديوانه الشوقيات العديد من المدائح
النّبوية، أشهر تلك المدائح: نهج البردة والهمزية، وقد عارض بهما البردة والهمزية
للبوصيري " ².

لقد قيل في شوقي الكثير، وما أنا بحاجة إلى الإطناب في الحديث عنه، ذلك أنّ
شاعر مصر، وشاعر العرب، وشاعر المسلمين، وكلُّ أديب أو قارئ يعرف ذلك.
أنتقل الآن إلى الجزء الثاني لأوضّح طبيعة الحياة الثقافية في عصري الشعراء، وسأبدأ
بعصر البوصيري.

¹ محمد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، مرجع سابق، ص 281-282.

² محمد أحمد درنيقة: معجم أعلام شعراء المدح النبوي، مرجع سابق، ص 62.

ثانياً: الحياة الثقافية في عصري الشعراء.

1-العصر المملوكي:

امتد حُكم المماليك للبلاد المصرية من سنة 648هـ إلى سنة 923هـ، وقد أقاموا دولتهم على أنقاض الأيوبيين، واستمروا في الحُكم إلى أن فتح العثمانيون هذه البلاد.¹ وقد وصف بعض الدارسين المحدثين عصر المماليك بانحطاط مستوى الحياة الثقافية، وأغفلوا ذكر المفكرين والأدباء الذين تباها أسماؤهم كتب الأعلام والتراجم، وتجاهلوا ما أنتجوه من موسوعات علمية وأدبية تشغل حيزاً كبيراً في مكتبة التراث العربي والإسلامي.²

اهتم السلاطين في هذا العصر بتعليم كل فئات المجتمع، وبرعاية العلماء وحتى الوافدين منهم أمثال: ابن عصفور الإشبيلي (ت669هـ)، وابن خلدون (ت1406م)، وابن مالك (ت672هـ).³

كما اهتموا بإنشاء المدارس والمراكز التعليمية، وقد شهد عن كثرة المدارس في ذلك العصر الكثير أمثال: ابن بطوطة (ت779هـ) بقوله: "لا يحيط أحدٌ بحصرها لكثرتها"⁴، كما ألحقوا بتلك المدارس مكتبات وخزائن ضخمة كمكتبة قلعة الجبل وخزانة جامع المؤيد.⁵

¹ محمود رزق سليم: الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، دار الكتاب العربي، مصر، 1957م، ص4.
² نبيل خالد أبو علي: المعطى الدلالي لشعر المديح وطابعه الديني في عصر سلاطين المماليك والعثمانيين، مجلة الجامعة الإسلامية، فلسطين، العدد 2، 2007م، ص143.
³ المرجع نفسه، ص144.
⁴ ابن بطوطة: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التراث، بيروت، 1968م، ص70.
⁵ نبيل خالد أبو علي: المعطى الدلالي لشعر المديح، مرجع سابق، ص144.

فكانت مصر والشام في عصر المماليك قبلة العرب والمسلمين الثقافية وملاذهم الآمن، بعد استيلاء الفرنجة على الأندلس والمغول على بغداد، وتدمير المكتبات¹.

أولى المماليك أهمية للدين، فكثرت المساجد وحطَّ العديد من العلماء رحالهم في الديار المصرية أمثال: ابن دحية المحدث (ت633هـ) وابن جابر الضرير (ت780هـ) وغيرهم². وكانت للكتابات دور كبير في التنشئة الأولى للطلاب قبل الالتحاق بالمدرسة ناهيك عن حفظ القرآن الكريم³.

ومن العلوم التي ازدهرت في العصر المملوكي: علوم اللغة، ومن علمائها ابن الصائغ (ت720هـ) وابن منظور (ت630هـ)⁴، فاللغة لم تتحدر في هذا العصر، ذلك أن دولة المماليك كان وطنها عربياً، كما أن أمراءها قد أكثروا من المدارس وقربوا العلماء إليهم -كما قلنا آنفا- فلم يستغنوا في تنظيم دولتهم عن علوم العرب وأدبها⁵.

أما الشعر فقد بان عليه الضعف مقارنة بما كان عليه من قبل على الرغم من أن المماليك كانوا أرحب صدرا لاستقبال الشعراء.

فكثر فيه التكليف والتقليد، فقلما وقفت على معنى شريف إلا وجدت له أصلا في شعر السالفين، فبات الشعراء يتلمسون المحسنات البديعية ليتستروا بها⁶. وأبرع من جاء في هذا

¹ نبيل خالد أبو علي: المعطى الدلالي لشعر المديح، مرجع سابق، ص145.

² علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، مرجع سابق، ص68.

³ نبيل خالد أبو علي: المعطى الدلالي لشعر المديح، مرجع سابق، ص145.

⁴ علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، مرجع سابق، ص74.

⁵ بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار نضير عبود، لبنان، ص211.

⁶ المرجع نفسه، ص215.

العصر: البوصيري (ت696هـ)، وابن نباتة (ت768هـ)، وصفي الدين الحلبي (ت750م)،
وابن معنوق (ت707م).¹

وأشهر أغراض الشعر آنذاك: المدح ومن شعرائه الشاب الظريف (ت688هـ)، وكثيرا
ما قُدِّم المدح بالغزل أو وصف الخمر ترويحاً للنفس، إضافة إلى الوصف فلم يترك
الشعراء شيئاً وقع على حسّهم إلا وصفوه، ومن وصاف الطبيعة ابن نباتة وصفي الدين
الحلبي.²

كما راج المديح النبوي رواجاً كبيراً، ويرجع ذلك إلى جملة من العوامل منها: أن
العصر كان عصر ظلم واستبداد من طرف الحكّام فلاذ الشعراء يبيّثون آلامهم بالتوسلات
إلى الله تعالى ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وطلب شفاعته.³

ومن رجال المديح النبوي: البوصيري بئرته المشهورة إضافة إلى شعراء آخرين
نهجوا نهجه، فتعدّدت الأغراض الشعرية وتتنوعت لكن شعر الزهد والشعر الديني انتعش
أكثر في هذا العصر واحتل حيزاً كبيراً من بين الأغراض الشعرية الأخرى.

فالأغراض لم تخرج في مجملها عن نوعين متناقضين هما: التّصوف والمجون؛
فطائفة انصرفت إلى التنسك وطائفة أخرى انصرفت في طلب الملذّات⁴، أما ألفاظ الشعر
وأساليبه فقد تميزت بالسهولة واصطناع البديع والميل إلى الفكاهة واستعمال الكلمات
العامية والدخيلة وكثرة الضرورات الشعرية.⁵

¹ بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، مرجع سابق، ص216.

² محمود رزق سليم: الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، مرجع سابق، صص66-68.

³ المرجع نفسه، ص69.

⁴ بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، مرجع سابق، ص215.

⁵ محمود رزق سليم: الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، مرجع سابق، صص78-83.

هذا بالنسبة للشعر، أمّا النثر فقد خضع في جُمَلته للمنهج الفاضلي وقيوده، وعلت لديه منزلة التورية، فتقيدت الكتابة برسوم ديوان الإنشاء ومنهج أهله في أساليبه ومصطلحاته، فانساقوا إلى هندسته ليجعلوا منه فنا صناعيا معجبا، له أهميته عند الحكام والرؤساء¹.
لقد ركزت على طبيعة الشعر في العصر المملوكي أكثر من أي جانب آخر، لأنّ موضوع الدراسة شعري، كما يجدر الالتفاتة إلى أن هذا العصر رُغم ظروفه السياسية فقد أنتج لنا شعراء عظماء على رأسهم البوصيري.

2- العصر الحديث:

اخترتُ مصر في الحديث عن الحياة الثقافية، مع أوّل بعثة أرسلها محمد علي باشا للدراسة بفرنسا على رأسها رفاعة الطهطاوي (ت1873م) ليعود بكم هائل من المعرفة ويتفرغ للتأليف والترجمة، فعرفت الترجمة حركة كبيرة في ذلك العهد، أنشأ إثرها مدرسة الألسن عام 1835م التي تُعنى بتخريج المترجمين برئاسة رفاعة الطهطاوي².
وتعدّ الصحافة من أهم وسائل النهضة في العصر الحديث، وقد ظهرت بمصر مع حملة نابليون بونابرت الذي أمر بإصدار الجرائد، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر للميلاد أنشئت مطبعة بولاق عام 1822م وطُبعت عليها جريدة الوقائع المصرية³.
وإلى جانب هذا فقد علا صوت الشعراء ليقوّض الشعب من نومه.

¹ محمود رزق سليم: الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، مرجع سابق، ص77.

² عبد المجيد الحر: أحمد شوقي، مرجع سابق، ص32.

³ المرجع نفسه، ص33.

وقد عالج الشعراء عددا كبيرا من الموضوعات الحيوية التي كانت تشغل عصرهم منها: اللغة العربية، وإحياء التراث العربي، والصراع ضد التعصب، والثورات العربية، والشرق العربي وفلسطين¹.

كما كان للمسرح دور كبير في ازدهار الحياة الثقافية بما فيها مصر، ومن رواده هناك يعقوب صنوع (ت1912م)².

وبالعودة إلى الشعر، فإن رواده ابتداء من البارودي (ت1940م) حتى اليوم قد ارتقى ونشط.

فاستقى رواده من ينابيع الشعر العباسي وطبعوا على غرارهم، لما راقهم من أسلوب أبي تمام والبحتري والمنتبي، فتقيدوا بالقديم ونجحوا في تقليدهم، لكنهم جدّدوا بعد ذلك في الموضوعات والأخيلة، فكان أغلب شعرهم شعر مناسبات³.

ولما اشتد اتصال الشرق بالغرب دعا الشعراء إلى هجر كل ما هو قديم والاقتداء بأدب الغرب، فحفل الوطن العربي بشعراء الابتداعية، وظهرت عدّة تيارات منها: الرومانطيسي والواقعي والرمزي، فاتخذ كل شاعر تيارا يسير عليه⁴.

ومن أهم الأغراض الشعرية التي خاض فيها الشعراء: المدح وعادة ما يكون في المناسبات، وفارس المديح في العصر الحديث أحمد شوقي، إضافة إلى الوصف وكثيرا ما مزج الشعراء فيه الأوصاف الحسية بالأوصاف النفسية، زد على ذلك الشعر السياسي

¹ عبد المجيد الحر: أحمد شوقي، مرجع سابق، ص38.

² المرجع نفسه، ص39.

³ حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص44.

⁴ المرجع نفسه، ص44.

والوطني وليد النزاعات، والشعر الاجتماعي، وغيره من الأغراض التي لا مجال لحصرها.

غير أنّ الشعر الديني عدّ من أبرز الأغراض، فمن زُهّاد يحثون على التقوى وترك الموبقات إلى شعراء يتغنّون بفضائل النبي صلى الله عليه وسلم فينقربون إلى الله بمدحه، ويستشفعون به¹.

ومن الشعر الديني: إلياذة أحمد محرم (ت1945م) التي صور فيها جهاد النبي صلى الله عليه وسلم في سبيل الدعوة...، ومدائح أحمد شوقي النبوية كنهج البردة والهمزية. أمّا معاني الشعر العربي الحديث وخیالاته وصوره، فمما لا شك فيه أن شعراءنا قد تأثروا بقراءتهم للأدب العربي القديم حتى استقام أسلوبهم ووعت عقولهم مئات الصور والمعاني القديمة، لكنهم أضافوا إليها كثيراً ممّا قرؤوه في الأدب الغربي إمّا مباشرة أو عن طريق الترجمة².

في هذا الجو المُفعم بالنشاط، خاصة الشعر الذي قفز في هذا العصر قفزة نوعية، سطع نجم الشاعر أحمد شوقي، فبدأ شعره يُحرّك الشعب العربي ويدخل قلوبهم. أما النثر، فبعد أن خرج من عصر المماليك واهي القوى، يدور في حلقة ضيقة من اللاشيء المعنوي والفني.

راح عمّال النهضة يعالجون اللغة والأساليب الكتابية بهدف إرجاعها إلى سابق صفائها، فعالجوا الكتب المدرسية والصحافة، وكل ما يرتقي بالجيل الجديد، فكتبوا المقامات على

¹ عمر الدسوقي: في الأدب الحديث، دار الفكر، مصر، ص298.

² المرجع نفسه، ص307-308.

مذهب الحريري (ت516هـ)، وراحوا ينشؤون الرسائل على مذهب ابن العميد (ت367هـ)، كما عالجوا موضوعات النقد والتاريخ، وعلم الاجتماع وما إلى ذلك...¹.

إذا كان هذا حال البلاد المصرية في العصر الحديث فإن النهضة التي قامت في باقي البلدان العربية لا تقل أهمية عما كان في مصر، حيث نشطت الحياة الثقافية نشاطا كبيرا في معظم أنواع المعرفة بما فيها الأدب بشقيه النثري والشعري. وقد ركزت على النهضة الأدبية في مصر، ذلك أنها كانت أول منطلق للنهوض بالأدب في العصر الحديث، كما أنها أنتجت أمير الشعراء أحمد شوقي، الذي سألقي الضوء على غرض من أغراضه الشعرية.

ثالثا: المديح النبوي في الشعر العربي:

قبل أن نتعرف على المديح النبوي، يجدر بنا رسم الخطوط العريضة لشعر المديح عامة، ولموقف الإسلام من الشعر -لمدح الشعراء للرسول صلى الله عليه وسلم-، ومن ثمة نتطرق إلى المديح النبوي.

كان المديح قديما على رأس موضوعات الشعر، وأكثر فنون الشعر العربي إبداعا، لما توفر لدى الشعراء من بواعث فنية أو نفعية، أتاحت هذه البواعث للقصيد المادحة نقل عاطفة الإعجاب بسبب ما تُثيره في النفس من انفعالات تبعث على نظم الشعر من جهة

¹ حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص22.

وبما لها من صدق الشعر والإخلاص في التعبير عما يُعتمَل في خواطر الشعراء من جهة أخرى¹.

والمديح من الفعل مدح وهو: نقيض الهجاء، وحسن الثناء، جمعه المدائح والأماديج.²
والمديح: الأمدوحة وهي ما يمتدح به³.

أما اصطلاحاً فهو: وصف الناس بالأخلاق الحميدة، والإشادة بفضائلهم وأعمالهم المجيدة، وقد عرف الشاعر العربي منذ جاهليته هذا الفن وكان الغالب المدح عن قناعة باستحقاق الممدوح الثناء، فكان الشعر نابعا من قرارة نفس الشاعر، لا يتزلف لكي يتكسب بشعره⁴.

فقصائد المديح امتدت حتى مجيء الإسلام، هذا الدين الجديد الذي لم يرض به الكثير من عرب مكة، فحاربوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول كما حاربوه بالسلاح، إذ وظفوا بعض شعرائهم للطعن في الدين الإسلامي فانتدب الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة شعراء مسلمين للدفاع عن الرسالة المحمدية وهم: عبد الله بن رواحة (ت8هـ) وكعب بن مالك (ت50هـ) وحسان بن ثابت (ت54هـ) - رضي الله عنهم⁵ -.

يتضح إذن أن الإسلام وقف من الشعر موقفاً وسطاً. فقد أعجب الرسول عليه الصلاة والسلام بالنابغة الجعدي (ت50هـ) حينما أنشده:

ولا خير في حلمٍ إذا لم تكن له *** بوادر تحمي صفوه أن يُكدر

ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له *** حلِيمٌ إذا ما أورد الماء أضدرا

¹ بوشلائق حكيمة: بردة البوصيري دراسة أسلوبية، ماجستير، كلية الأدب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2010/2009، ص2.

² ابن منظور: لسان العرب، المجلد2، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م، المادة (مدح)، ص 698.

³ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج2، ط2، مطابع دار المعارف، مصر، 1973م، المادة (مدح)، ص85.

⁴ درويش الجندي: ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده، دار النهضة، مصر، 1969م، ص ص 43-64.

⁵ محمد عباسة: نشأة الشعر الديني عند العرب، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم (الجزائر)، العدد 1، 2004 م، ص 5.

تأثر النابغة في هذين البيتين الشعريين بقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾¹، وبقوله صلى الله عليه وسلم: " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"، لذلك أعجب به الرسول عليه الصلاة والسلام غاية الإعجاب ودعا له قائلاً: لا فُضُّ فوقك وفي رواية: لا يفضض الله فاك، فعاش ثلاثين ومائة سنة ولم تسقط له ثنية.²

كما قال صلى الله عليه وسلم في توضيح موقفه من الشعر: " إنما الشعر كلامٌ مؤلفٌ فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"، فنشأ بذلك شعر ديني إسلامي في المديح، سُمِّي بالمديح الديني، وانقسم إلى قسمين:

-مدحُ الله جل جلاله: كان حيناً مديحاً سطحياً وحيناً مديحاً عميقاً، وأصبح في كثير من الأحيان مديحاً صوفيّاً.

-مدح الرسول صلى الله عليه وسلم: وبدأ مع البعثة.³ فكان عليه الصلاة والسلام يُوجّه الشعراء المسلمين لتأكيد أسس الإسلام والدفاع عنه، لكن شعرهم لم يتوقف هنا فحسب، بل نظموا قصائد يمدحونه فيها.⁴

ويُعدّ حسان أول من بدأ هذا الفن، فكان يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ويهجو خصومه، وكان عليه الصلاة والسلام يقول له: " قُلْ وَرَوْحُ الْقُدُسِ مَعَكُمْ، وَاللَّهُ لَشِعْرُكُمْ عَلَيْهِمْ أَشَدُّ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ فِي غَبَشِ الظَّلامِ".

¹ القرآن الكريم: 7 الأعراف 199.

² عبد الرحمن خليل إبراهيم: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية، الشركة الوطنية، الجزائر، 1971 م، ص 258.

³ سامي الدهان: المديح، ط5، دار المعارف، مصر، ص 69-71.

⁴ سامي مكي العاني: الإسلام والشعر، عالم المعرفة، الكويت، العدد 66، 1978م، ص 108.

فكان يمزج حسان بين القديم والجديد أي بين التراث الجاهلي والمعاني الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف.¹

1- مفهوم المديح النبوي:

يُعرّف زكي مبارك المدائح النبوية بقوله: " المدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مُفعمة بالصدق والإخلاص ".²

وأكثر المدائح النبوية قيلت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما يقال بعد الوفاة يسمّى رثاءً، لكنه في الرسول عليه الصلاة والسلام يُسمى مدحاً، لأنهم لحظوا أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم موصول بالحياة، وأنهم يُخاطبونه كما يخاطبون الأحياء، ولأنّ الرثاء يقصد به إعلان التحزن والتفجع على حين يُراد بالمدائح النبوية التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين، والثناء على شمائل الرسول الكريم.³

إذن فالمديح النبوي: هو ذلك الشعر الذي ينصبُّ على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخلقية والخلقية، وإظهار الشوق لرؤيته، وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته عليه الصلاة والسلام، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، ونظم سيرته شعراً والإشادة بغزواته وصفاته المثلى، والصلاة عليه تقديراً وتعظيماً.⁴

وقد ظهر نمطان للمدائح النبوية منذ ظهورها في عهد الرسول الكريم:

¹ عبد الله الركبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، ص49.

² زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص17.

³ المرجع نفسه، ص18.

⁴ بوشلاق حكيمة: بردة البوصيري دراسة أسلوبية، مرجع سابق، ص4.

النمط الأول: أن يفتتح الشاعر مدحته بالنسيب أو ذكر الأطلال ووصف الراحلة،¹ وبدء قصيدة المديح النبوي بالنسيب عدت سنة في كثير من المدائح النبوية، وفي هذا المقام يُشير الحموي (ت626هـ) إلى التأدب فيه بقوله: "إنّ الغزل الذي يصدر به المديح النبوي يتعيّن على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدّب ويتضاعف، ويتشّبب مطرباً بذكر رامة سفح الحقيق والعذيب والغوير...ويطرح ذكر محاسن المرء والتغزل في ثقل الردف، ودقة الخصر، وبياض الساق، وحمرة الخد...وما أشبه ذلك"².

النمط الثاني: وهو المدح الذي لم تسبقه مقدمات، بل يدخل إلى غرضه مباشرة، وكان هذا النمط كثير الاستعمال في المدائح النبوية في تاريخها الطويل إلى وقتنا الحاضر.³ ويرى يوسف النبهاني (ت1992م) أنّ مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ليس فيه مبالغة بل عجز، فقد أجمع المسلمون على أنّه لا يجوز إطرء النبي أي مجاوزة الحدّ في مدحه بادعاء الألوهية⁴.

فعلى المادح إذن أن يتجنب هذا الإطرء، كما تجدر الإشارة إلى أن المادح للنبي الكريم لا يكون من البيئات الصوفية وحدها، بل هناك مادحين كثيرين من غير المتصوفة.

2- نشأة المديح النبوي وتطوره:

إنّ أول ما جاءنا من المديح النبوي أنّ النابغة الجعدي أنشأ قصيدة طويلة في مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم فقال:

¹ محمد شحادة تيم: الاتجاه الإسلامي عند الشعراء الفلسطينيين، ماجستير، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1988م، ص220.

² ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ط1، دار الهلال، لبنان، 1987م، ص14.

³ محمد شحادة تيم: الاتجاه الإسلامي عند الشعراء الفلسطينيين، مرجع سابق، ص221.

⁴ يوسف النبهاني: المجموعة النبهاني في المدائح النبوية، ج1، دار الكتب، القطرية، قطر، 1320م، ص3.

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى *** وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَّةِ نَيِّرًا

أُقِيمَ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضَى بِفِعْلِهَا *** وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْمُخَوَّفَةِ أَخْذًا¹

وجاءنا كذلك أن الأعشى (ت7هـ) قد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بقصيدة دالية يقول فيها:

نَبِيُّ يَرُونَ مَا لَا تَرُونَ وَذِكْرُهُ *** أَغَارَ لِعُمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأُنْجِدَا

لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تَغِبُّ وَنَائِلٌ *** وَلَيْسَ عَطَاءَ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدَا

فالأعشى نطق بهذا المديح على عادة الجاهلين في مدح زعمائهم ورؤسائهم.²

ونجد بعد ذلك قصيدة (بانة سعاد) لـ: كعب بن زهير (ت24هـ) التي نظمها في سبيل

النجاة من القتل لإساءته للدين الإسلامي وللرسول صلى الله عليه وسلم³، والتي مطلعها:

بَانَتْ سَعَادُ فِقْلِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ *** مَتِيمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ

إلى أن يقول في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي *** وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ *** مُهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْئُولُ

وقد سارت هذه القصيدة على مرّ الزمان، وقلدها العديد من الشعراء⁴.

أعجب النبي عليه الصلاة والسلام بهذه القصيدة، فرمى على كعب بريدة كانت عليه، وقد

بذل له فيها معاوية بن أبي سفيان (ت60هـ) عشرة آلاف، فقال: ما كنت لأؤثر بثوب

¹ سامي الدهان: المديح، مرجع سابق، ص72.

² المرجع نفسه، ص73.

³ زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص21.

⁴ المرجع نفسه، ص32.

رسول الله أحدًا، فلما مات كعب اشتراها معاوية من ورثته بعشرين ألفًا، وهي البردة التي عند السلاطين اليوم¹.

أما حسان بن ثابت فكان شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم بحق، فيراه أحسن الناس وأجملهم بقوله:

وأحسنُ منك لم تر قطُّ عيني *** وأفضلُ منك لم تَدِ النساءِ

خلقت مبرءًا من كل عيبٍ *** كأنك خلقت كما تشاءُ

فجمع حسان في ديوانه سيرة الرسول صلى الله عليه ومفاخره وأياديه في السلم والحرب، في الدين والدنيا معاً².

أما في العصر الأموي فنجد شعراء مدحوا النبي الكريم، وقرنوا ذلك بمدح آل البيت، كما فعل الكميت الأسدي (ت126هـ) في قصائده الهاشميات، ودعبل (ت220هـ) في تائيته، والشريف الرضي (ت406هـ)، ومهيار الديلمي (ت428هـ).

وفي القرن الخامس للهجرة أنشد أبو العلاء المعري (ت449هـ) في الدين الإسلامي وفي الرسول صلى الله عليه وسلم فقال:

دعاكم إلى خير الأمور محمد *** وليس العوالي في الفتا كالسوافلِ

وألزكم ما ليس يعجز حمله *** أذا الضعف من فرضٍ ونوافلِ

وحثّ على تطهير جسمٍ وملبسٍ *** وعاقب في قذفِ النساءِ الغوافلِ

¹ محمد بن عبد الوهاب وعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، السعودية، 1376هـ، ص284.

² سامي الدهان: المديح، مرجع سابق، ص76.

فنراه يمدح الرسول الكريم برسالته، ويُعدّد الفروض والنوافل ويلخص أركان الدين¹.

وقد سار على غرار أبي العلاء كثير من الشعراء، حتى كان القرن السابع للهجرة فوضع فيه البوصيري عددا من القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أطل في بعضها كالهزمية والبردة. ومما قاله في شمائل النبي الكريم:

سَيْدٌ ضِحْكُهُ التَّبَسُّمُ وَالْمَشْ *** يُّ الْهُوَيْنَى وَنَوْمُهُ الْإِغْفَاءُ

مَاسِوَى خُلِقَهُ النَّسِيمُ وَلَا غِيَّ *** رَ مُحْيَاهُ الرُّوضَةَ الْغَاءُ²

فكانت كل قصائده باقة من أفكار دينية تتقدم يوم الحشر لتشفع لصاحبها.

كان للبوصيري أثره في شيوع المدائح النبوية على جو لم يسبق له مثيل، بعد أن أنشأ قصيدته البردة التي عاشت بين العامة والخاصة³.

وأصبح فن المديح موضوعا لا يتخلف عنه شاعر في مصر، فمنهم المُقَلِّ ومنهم المُكْتَر، وأعان على ازدهاره الفكر الصوفي والقبول الذي لقيته الطرق الصوفية⁴.

إذ لا يكاد يخلو ديوان شاعر مصري من مديح نبوي وخاصة منذ ظهور البوصيري⁵.

أما في الأندلس فقد نظم الشعراء في المديح النبوي موشحات عديدة، ومن الوشّاحين الذين نظموا في هذا الغرض الشعري ابن زمرك (ت397هـ) حيث اشتهر بمولديّاته التي أحيّاها في ذكرى مولد الرسول الأعظم.

¹ سامي الدهان: المديح، مرجع سابق، ص77.

² البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص16.

³ عبد الله الركبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص51.

⁴ محمود علي مكي: المدائح النبوية، ط1، الشركة المصرية العالمية، مصر، 1991م، ص106.

⁵ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ط2، دار المعارف، مصر، ص276.

ومن الوشّاحين الأكثر مدحا للرسول صلى الله عليه وسلم ابن الصّبّاغ الجذامي (ت1250م) إذ أورد له المقرّي (ت1041هـ) عددا من الموشحات جاءت كلها في مدح المصطفى¹. ومن نظمه بيته الشعري المشهور:

وقوفاً على الأقدام في حق سيّدٍ * * * تُعظّمه الأملاك والجن والإنس²

وقوله أيضاً:

فكلّ له عرسٌ بذكر حبيبهِ * * * ونحن بذكر الهاشميّ لنا عرس³

أما أبو الحسن الشّشّتري (ت1269هـ)، فقد وظف الأزجال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ويعد أول من أدخل التصوف في الأزجال⁴.

ولم يخلُ القرن الماضي من شعراء مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أنشأ محمود سامي البارودي قصيدة دينيّة سماها (كشف الغمة، في مدح سيّد الأمة) جعل فيها سيرة النبي الكريم. ومن قوله:

وإنّما هي أبياتٌ رجوتُ بها * * * نيلُ المنى يوم تحيا بدّة الرّمم

نشرتُ فيها فريد المدح فانتظمت * * * أحسنُ بمنتشرٍ فيها ومُنْتَظَم

راجيا بهذه الأبيات الشعرية كشف غمته، ولعل بمدحه هذا ينال المنى⁵.

كما أنشأ أحمد شوقي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم عدة قصائد أهمها: الهمزية، ونهج البردة، ومما قاله في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام:

¹ محمد عباسية: نشأة الشعر الديني عند العرب، مجلة حوليات التراث، مرجع سابق، ص12.

² ابن الصّبّاغ الجذامي: الديوان، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2003م، ص120.

³ المصدر نفسه، ص221.

⁴ محمد عباسية: نشأة الشعر الديني عند العرب، مجلة حوليات التراث، مرجع سابق، ص12.

⁵ سامي الدهان: المديح، مرجع سابق، ص80.

يا مَنْ لَهُ الْأَخْلَاقُ ما تَهْوَى الْعُلَا***مِنِهَا وما يَتَعَشَّقُ الْكُبْرَاءُ

زانتك في الخلق العظيم شمائل***يُغْرِى بِهِن وَيَوْلَعُ الْكِرْمَاءُ¹

فشوقي قد رسم هنا أخلاق النبي الكريمة، وظل شاعر الدين في العصر الحديث.

أما اليوم فإنَّ الشعراء العرب لا يزالون يرسلون المدائح في النبي صلى الله عليه وسلم ويُصوِّرون بطولته وكرمه وجمال خلقه وخلقه، وسمو رسالته، حاثين قومهم على اقتفاء أثره واتباع نهجه، متألمين لما هي عليه العرب من فوضى وتفكك شبيهة بحال العرب قبل الإسلام، لا يجدون خلاصاً منها إلا بالرجوع إلى تعاليم الإسلام وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، ليُعيد العرب مجدهم ويُدلَّ أعداؤهم.

فالمديح النبوي اليوم كثير، وممن أنشده: أنور العطار، وعمر أبو ريشة، وأحمد مظهر، وعدنان مردم، وتميم البرغوثي.

ومحمد عبد الغني الذي نظم ديواناً كاملاً في مدح النبي صلى الله عليه وسلم سماه (من وحي النبوة)². والحديث عن شعرهم يطول، لكن ما نخلص إليه:

أنَّ هذا اللون من الأدب لم ينقطع في الشعر العربي إذ هو ملائماً اتجه إليه الشعراء العرب كلما ضاقت بهم الدنيا.

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص 39-40.

² سامي الدهان: المديح، مرجع سابق، ص 82.

فالمديح الصادق مثل مدح رسول الله يُعدّ من الناحية الفنية فعلاً محموداً ومن الناحية الدينية أمراً واجباً على الشعراء المسلمين، لأنّه مساهمة فعالة في ترسيخ عبقرية النبي في الأذهان وتثبيت شمائله الغراء في النفوس وتعويدها على محبّته والتأسي بمكارم أخلاقه¹.

إذن لم يعد مدح النبي صلى الله عليه وسلم صفةً تحببياً يسعى إليها الشاعر بل هي فريضة منزلة يُجزى عليها صاحبها أجمل الجزاء، فهذا الكم الهائل من قصائد المديح النبوي لا نعجب منه ذلك أنّ المدح هنا دواءٌ لقائله وصائغُه وبلسمٌ لسامعه وقارئه.

وقد اخترت من قصائد المديح العربية بُردة البوصيري، ونهج البُردة لأحمد شوقي اللتين سأنتطرق إليهما بالتفصيل في الفصل القادم إن شاء الله.

¹ زبير درّاقى: المستقصى في الأدب الإسلامي، مرجع سابق، ص29.



﴿ البردة ونهج البردة - دراسة تحليلية - ﴾

أولاً: البردة وأثرها في الشعر.

ثانياً: قراءة في بردة البوصيري.

ثالثاً: قراءة في نهج البردة لأحمد شوقي.

أولاً: البردة وأثرها في الشعر.

1- مفهوم البردة:

ورد في لسان العرب أن البردة: كساء يُلتحف به، قال شمر: رأيت أعرابياً بخزيمية وعليه شبه منديل من صوف قد اتزر به، فقُلت: ما تُسميه؟، قال: بردة، وقال الأزهري: جمعها برْدٌ، وهي الشملة المخططة، وقال الليث: البردة كساءٌ مربعٌ أسودٌ فيه صفر تلبسه الأعراب.¹

فالبردة كساءٌ مخططٌ يلتحف به، جمعها: بُردٌ وِبُردٌ.²

هي قطعةٌ طويلةٌ من القماش الصوفي السميك الذي يستعمله الناس لستر أجسامهم أثناء النهار كما تتخذ غطاءً أثناء الليل، وكانت البردة معروفة عند البدو، ومن أشهرها بُرود اليمن، وكان هذا النوع من اللباس معروفاً أيضاً في الأندلس.³

عن أنس بن مالك -رضي الله عنهما- قال: كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه (الحبرة).

والحبرة - بكسر الحاء وفتح الباء - ضرب من نوع برود اليمن تتخذ من كتان أو قطنٍ مُحَبَّرَةٍ؛ أي مُزَيَّنَةٍ (التحبير هو التزيين والتحسين).

وعن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة ببردة فقالت: هل تدرون ما البردة؟، قال سهل: نعم... هي الشملة منسوج في حاشيتها، فقالت: يا رسول الله إنني نسجتُ هذي بيدي أكسوكها، فأخذها الرسول صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها.⁴

والشملة هي البردة، غير أن ما يميز الشملة عن البردة هو حياكة شيء إضافي في أطرافها (أي بعض الزينة في حاشية البرود).

¹ ابن منظور: لسان العرب، المجلد3، مصدر سابق، المادة(بَرَد)، ص105.

² مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج1، مصدر سابق، المادة(بَرَد)، ص48.

³ رينهارت دوزي: أسماء الملابس عند العرب، تر: أكرم فاضل، ط1، الدار العربية للموسوعات، مصر، 2011م، ص55.

⁴ محمد بن عيسى الترمذي: مختصر الثمانين المحمدية، المكتبة الإسلامية، الأردن، 1971م، ص47.

والبردة اسم يُذكرنا بقصائد ثلاث مدحت الرسول صلى الله عليه وسلم؛ أولها بردة الشاعر كعب بن زهير التي مطلعها:

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول *** مُتيم إثرها لم يفد مكبول.

ثم بردة الإمام البوصيري والتي مطلعها:

أمن تذكر جيران بذي سلم *** مزجت دمعاً جرى من مقلته بدم.¹

وبعدها نهج البردة لأحمد شوقي، ومطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم *** أحل سفك دمي في الأشهر الحرم.²

وقد جمع بين هذه القصائد المباركة خطٌ فكري يكاد يكون واحداً انطلق من التسمية، التي صارت علماً فيها.³

إن تسمية هذه النصوص الشعريّة باسم البردة، يرجع إلى بردة الرسول صلى الله عليه وسلم التي وهبها للشاعر كعب بن زهير تقديراً لنظمه، فسُميت قصيدته (بانث سعاد) بالبردة، وسار هذا الاسم على قصيدتي البوصيري وشوقي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك.

فالبردة إذن عنوانٌ أولٌ لقصيدة كعب بن زهير -كما قلنا آنفاً- أمّا إطلاق البوصيري عنوانَ البردة فهو تأثر ببردة كعب من جهة واحتذاء لنظم وأسلوب المدح النبوي الذي مثلته في السابق (بردة) كعب من جهة أخرى.

أما (نهج البردة) لشوقي، فقصيدة عنونت تأثراً بكلا الشاعرين: كعب بن زهير والإمام البوصيري.

فعنوان (البردة) كعتبة للنص جاءت جذبا للمتلقي للإبحار في عالم النص وتأسيساً لأفق المتلقي وتوضيحاً لشفرات تركيبه وأسلوبه ودلالاته.

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص165.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص210.

³ حسن حسين: ثلاثية البردة - بردة الرسول صلى الله عليه وسلم -، مكتبة مدبولي، مصر، ص9.

وما نلاحظه أنّ هذه القصائد كلّها تنطلق من التعظيم لبردته عليه الصلاة والسّلام التي خلعتها على أول هؤلاء الشعراء.

فلم ينل أحد من البشر -مهما عظمت شهرته- من الحُبِّ والإعجاب ما ناله الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، بل تعدى ذلك الحب إلى خصوم الإسلام الذين وصفوه تلقائياً بالرجل العظيم ذو الحكمة السّديدة والسياسة البارعة.

لقد قذف الله تعالى حُبَّ الرسول صلى الله عليه وسلم في قلوب العامة والمسلمين خاصة ليكون الاقتداء به مؤكّداً في نفوسهم، ذلك أن الحب والاتباع أمران مرتبطان في النفس الإنسانيّة.

قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾¹.

وتُعبّر ثلاثة البردة عن هذا الحب للرسول الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم، هذه المحبة التي تقود إلى اتباعه لا محاله.

ذلك أن محبته صلى الله عليه وسلم هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقُرّة العيون... والمرء مع من أحب.²

إذن الرسالة هي (البردة)، والمرسل هم ناظموا البردة، والمرسل إليه هو القارئ لهذه الرسالة، وجميع هذه العناصر تندرج في إطار الإسلام والمسلمين.

ونظراً لما حظيت به قصائد البردة من مكانة طيّبة بين قصائد المديح النبوي، فقد تنافس الشعراء في نظم قصائد على منوالها.

ونخصّ هنا بالذكر (بردة) البوصيري وما كان لها من تأثير في الشعراء القدامى والمحدثين، ويمكن القول أنّ جميع المدائح النبوية التي نُظمت بعد البوصيري على الوزن والقافية نفسها كان أصحابها مسوقين بالروح البوصيريّة.

¹ القرآن الكريم: آل عمران 31.

² محمد سعيد السباعي: أفضل القربات إلى الله بالصلاة على رسول الله، سوريا، 1959م، ص15.

فاقتدى بها الشعراء والعلماء نظراً لسموّ عاطفتها وروعة معانيها، فخمّسوها وشرّروها وشرحوها، فخمّست اثنين وتسعين تخميساً وشرحت واحداً وعشرين شرحاً.¹ وقد أسهمت البردة من خلال تأثيرها في الشعراء بخلق فن جديد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم سمّي بالبديعيّات.

2- البديعيّات:

تسيرُ البديعيّات على نهج (البردة) وزناً وروياً ومضموناً وأجزاءً، ويكون كل بيت من أبياتها خاصاً بلون من ألوان علم البديع.² ووظيفة البديع التحسين، وقد يكون هذا الأخير في اللفظ وقد يكون في المعنى، وبالتالي فإنّ هناك بديع لفظي وبديع معنوي.³

فالبديعيّات قصائد غرضها مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، تحوي أكبر قدر من فن البديع والزخرفة اللفظية، فتشتمل على جميع فنون البديع من جناس وسجع ولفّ ونشر وطباق ومقابلة وتورية وترصيع وتصريع... وقد كثرت الزخرفة اللفظية في عصر البوصيري.

وأهم ما تمتاز به البديعيّات:

- أ- أن كل بيت فيها وجب أن يحتوي على اسم بديعي أو أكثر.
- ب- التكلّف في البديع؛ فهو مديح غير مقصود لذاته وإنّما عرض لفنون البديع لا أكثر.⁴

وفي هذا المقام أقول أنّها تبقى جامعة بين مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وبين أنواع البديع وفنونه.

¹ علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، مرجع سابق، ص120.

² شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ط6، دار المعارف، مصر، 1995م، ص358.

³ جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص75.

⁴ سحر سليمان خليل: تاريخ الأدب العربي القديم، ط1، دار البداية، الأردن، 2011م، ص240.

ويُعتبر صفي الدين الحلّي صاحب أوّل بديعية المسماة "الكافية البديعية في المدائح النبوية"¹، وقد حاكى فيها بردة البوصيري وزناً وروياً وغرضاً.

وعدل صفي الدين عن إكمال كتاب له في البديع إلى نظم هذه البديعية؛ يقول في هذا الشأن: "عدلتُ عن الكتاب إلى نظم قصيدة تجمع شتات البديع، تتطرّزُ بمدح مجده الرّفيع، فنظمتُ مائة وأربعين بيتاً من بحر البسيط على مائة وواحد وخمسين نوعاً من محاسنه، وجعلتُ كلّ بيت منها شاهداً ومثالاً لذلك النوع"².

كما نجد بديعيات شتّى، كبديعية عزّ الدّين الموصلي (ت 389هـ) التي سماها (التّوصّل بالبديع إلى التّوسل بالشفيع)³، وبديعية ابن المقرّي (ت 837هـ)، المسماة (الجواهر اللامعة في تجنيس الفرائد الجامعة للمعاني الرائعة)، وبديعية السيوطي (ت 911هـ) المسماة (نظم البديع في مدح خير شفيع)⁴.

ومما سبق يظهر لنا أن البديعيات فن شعري طريف ظهر في القرن الثامن للهجرة، فهو كما يقال: برزخُ بين الشعر الرّائع والنّظم التّأليفي⁵.

وبالإضافة إلى هذا الفن الأدبي ظهرت المعارضة والنهج تأثراً بالبردة، وسأطرق إلى هذا الجانب بشيء من التفصيل.

3- المعارضة والنهج:

أ- المعارضة:

ظهرت المعارضة كمصطلح أقرب إلى الذّوق النقدي، نتيجة عملية التّأثير والتّأثر؛ هذه العملية القديمة الحديثة التي لا تنقطع، الممتدة إلى العصر الحديث.

¹ زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص 205.

² علي أبو زيد: البديعيات في الأدب العربي، ط1، عالم الكتب، لبنان، 1983م، ص 15.

³ صفي الدين الحلّي: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989م، ص 08.

⁴ زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص 206.

⁵ بوشلاق حكيم: بردة البوصيري -دراسة أسلوبية-، مرجع سابق، ص 16.

ورد في لسان العرب: عارض الشيء بالشيء معارضةً: قابلُهُ، وعَارَضْتُ كِتَابِي بكتابه أي قابلته، وفلانٌ يُعَارِضُنِي أي يُبَارِينِي.¹

وعارض فلاناً أتى بمثل ما أتى به، يقال: عارضه في الشعر، وعارضه بمثل صنيعه.² ويُقصد بالمُعارضة الأدبية النَّسِيج على غرار عمل أدبي آخر، وهي سُنَّة أدبية موجودة منذ العصر الجاهلي عند العرب.³

والمُعارضة في الشعر: أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية، فيأتي شاعر آخر فيُعجَب بهذه القصيدة، فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسيراً أو كثيراً، حريصاً أن يتعلّق بالأوّل في درجته الفنيّة أو يفوقها.⁴

وتنقسم المُعارضات إلى:

1- معارضات صريحة: بتوافق القصيدتين وزناً وقافية وموضوعاً سواء كلياً أو جزئياً.

2- معارضات ضمنية: باتفاق القصيدتين شكلاً واختلافهما موضوعاً.⁵

والحديث عن مُعارضة البردة للبوصيري في العصر الحديث، يدفعنا للحديث مباشرة عن أحمد شوقي الذي كانت تهزُّ البردة مشاعره فنهض إلى معارضتها.

بل إن شوقياً قد دخل المعارضة منذ وقت كعب بن زهير بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم مادحاً واستمرت إلى عصر البوصيري.⁶

اعترف شوقي بأنه يُعارض، وأنه ينقل ويُقلد، فالأولى بالنقاد أن يقفوا عند ابتكاراته، وعند المقاطع الجديدة التي يُدخلها في مُعارضاته، حتى يُسبقَ ويُجلّى على أقرانه.⁷ فمن الظلم لمثل هذا الشاعر أن تُقاس معارضاته للشعراء بأنه لم يلحق بهم في بيت كذا، وأنه

¹ ابن منظور: لسان العرب، المجلد7، مصدر سابق، المادة (عَرْض)، ص177.

² مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج2، مصدر سابق، المادة(عرض)، ص593.

³ حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص11.

⁴ أحمد الشايب: تاريخ النقائص في الشعر العربي، ط3، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1998م، ص7.

⁵ إيمان الجمل: المعارضات في الشعر الأندلسي، ط1، دار الوفاء، مصر، 2007م، ص55.

⁶ عز الدين إسماعيل: آفاق الشعر الحديث والمعاصر في مصر، دار غريب، مصر، 2003م، ص58.

⁷ شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، دار المعارف، مصر، ص74.

قَصَّرَ في بيت كذا، ولا يُنظر إلى تحليقاته وابتكاراته ومراكز تفوقه، وكأنه السَّهم المصمَّى دائماً لأقرانه.¹

فشوقي يُعارض الشعراء ويقلد أعمالهم الكبرى، ليُظهر مقدرته وتفوقه لا لعجز منه. والشاعر كمعارض مُحِب لعمل الآخر، ومُعجَب به، ومُعترف ببراعة صاحبه، وهذا الإعجاب لا يتقيد بفترة زمنية محددة أو شخصية دون شخصية أخرى، فنجد شوقي يفتني طريق البردة للبوصيري، ويعترف بإعجابه وتقديره لصاحبها، إذ يقول فيه:

المادحون وأرباب الهوى تَبَعُ *** لصاحب البردة الفِحاء ذي القَدَمِ

الله يشهدُ أنّي لا أعارضُهُ *** من ذا يُعارضُ صَوْبَ العارضِ العَرِمِ؟²

ويكفي برهاناً على ذلك، ما قاله شوقي في البيتين السابقين. كدليل واضح على موقفه من المعارضة ومن بردة البوصيري. بل من البوصيري نفسه.

يقول أحمد زكي: "طالما عارض الناس بردة البوصيري في القديم وفي الحديث بمئات ومئات من المنظومات، لكن الصَّيِّت بقي لهذه البردة وحدها إلى الآن، على أن قصيدة شوقي وإن لم تُرحزها عن مكانتها فإنها نالت شرفاً ليس له نظير...وقد صاغها شوقي ولا يزال في سنّ الفتوة وطراءة الشباب، لكن براعته فيها جعلت شيخ الشيوخ (سليم البشري) يَعرفُ فضلها ويُقدِّرُ ناظمها، ثم يتوفَّر على شرحها، وما رأى الناس لذلك مثيلاً قبل شوقي".³

هذه وجهة نظر أحمد زكي، والحق يقال: أن البوصيري إمام المادحين، وشوقي إمام المعارضات، فقد وُفِّق في اقتفاء أثر صاحبه، وتظل معارضته لبردة البوصيري فكرة جيدة، لا تدل على ضعف المستوى الفني للمعارض، بل الفكرة نفسها تُحيل إلى جانب روافد شاعرية شوقي خاصة في المجال الديني.

¹ شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، مرجع سابق، ص77.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص220.

³ شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، مرجع سابق، ص127.

إذن فشوقي في ميميته نهج بردة البوصيري، ولأبّد من الوقوف عند كلمة النهج التي اختارها شوقي.

ب - النهج:

نقول: طريق نهج أي بين واضح، وهو النهج، والجمع: نهجات ونهج ونهوج... وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه، والنهج الطريق المستقيم.¹
ومن هذا المعنى، نقف عند (نهج البردة) لأحمد شوقي، وكلمة نهج التي انتقاها الشاعر بجانب كلمة البردة، كعنوان لقصيدته.

فيتبادر للذهن مباشرة أن الشاعر قد سار فيها على طريق البردة للبوصيري.²
اقتفى طريق صاحبه، بالتزامه الموضوعات نفسها التي طرقها البوصيري في البردة، مترنماً متغنياً بالرسول صلى الله عليه وسلم خلقاً وخلقاً، مترفقا بحال المسلمين سلوكاً وعملاً، متشفعاً بسيد البشر من ذنبه... مثلما فعل البوصيري.

لقد حرص شوقي على تسمية قصيدته (نهج البردة) لتختلف بهذه التسمية عن بردة البوصيري كأنما رأى أن هذا القدر من الإبانة لا يستقل بالكشف عن قصده؛ فهو لذلك يُنوعه ويضيف إليه أو كأنما رأى أنه لا يريد أن يكشف عن قصده منذ اللحظة الأولى؛ فهو يجعله في اسم القصيدة ليكون أول ما يعلم الناس عنها من شيء.³

ولعل إضافة الشاعر كلمة نهج - التي توحى بالاستقامة والوضوح - ليبيّن أن بردة البوصيري على استقامة وصحة وصلاح وأن منزلتها الكبيرة جعلته يختار كلمة (نهج) عن كلمات أخرى، فأبى أن يضيف: معارضة أو اتباع أو تقليد أو... هذا من جهة، أما من جهة أخرى فليوضح غرض نظمه هذا، وهو مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم كما

¹ ابن منظور: لسان العرب، المجلد 13، مصدر سابق، المادة (نَهَجَ)، ص 365.

² حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص 12.

³ سعد عبد الوهاب عبد الكريم: إسلاميات أحمد شوقي، مطابع أهرام الجيزة الكبرى، مصر، ص 140.

مدحه البوصيري في ميميته؛ أي أنّ هدفه مثل هدف البوصيري تماماً، وليس الغرض أن يُبرز قدراته الفنيّة في معارضة إمام المادحين في نظمه.

وخلاصة القول: أنّ البردة كما يقول زكي مبارك ملحمة أدبية كبرى في المدائح النبوية في تاريخ الأدب العربي، وقد اتخذها الشعراء العرب نموذجاً ينسجون على منواله على رأسهم أحمد شوقي.

وبعد توضيحنا لما سبق، لا بد من اللّوج إلى لبّ البردتين (البردة) و(نهج البردة) وهذا ما سأطرق إليه الآن.

ثانياً: قراءة في بردة البوصيري:

يروى البوصيري قصة نظمه للبردة فيقول: "كنت قد نظمت قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم... ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني فالجُ أبطل نصفي، ففكرتُ في عمل قصيدتي هذه البردة، فعملتها، فاستشفعتُ بها إلى الله تعالى أن يعافيني، وكررتُ إنشادها وبكيتُ ودعوتُ وتوسّلتُ، ونمتُ فرأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم يمسحُ على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبّهتُ ووجدتُ في نهضة ففقتُ وخرجتُ من بيتي، ولم أكن أعلمتُ بذلك أحداً، فلقيتُ بعض الفقراء، فقال لي: أريدُ أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد سمعتها البارحة وهي تتشد بين يديّ الرسول، فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم يتمايل، وأعجبته، وألقى عليّ من أنشدها بردة، فأعطيتُهُ إياها... وذكر الفقير ذلك، وشاع المنام".¹

ويُعَلّل زكي مبارك منام البوصيري إلى حُب هذا الأخير لرسول الله خلق منه إيماناً وجه أحلامه إلى تصوّر الرسول عليه الصلاة والسلام في المنام.²

أي أنّ النفس الإنسانية تنفعل بما تؤمن به من صدق وإخلاص فتتمتلك تلك الأعاجيب كقصة البردة مع البوصيري، غير أن رؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام حق كما يرى

¹ علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلّمها، مرجع سابق، ص120.

² زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص182.

الفقهاء بل وحتى الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال: " من رآني في المنام، فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتمثل بي ".

فروياً الرسول صلى الله عليه وسلم ممكنة، على الوجه الذي ورد في شمائله صلى الله عليه وسلم من طوله ولونه، وهيئته، وغير ذلك.¹
وأخذت البردة أسماءً كثيرة منها:

- الكواكب الدرية في مدح خير البرية: لاشتغالها على مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم.

_ البرءة: لأن الناظم -كما قيل- برئ بسببها من مرضه (البرءة = الشفاء).

- الشدائد: لأنها تقرأ لتيسير العسير.

- البردة: تبرّكا بقصيدة كعب بن زهير.²

وقيل سمّاها (البردة) كنيةً له، لاشتغالها على مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم، وبهذا فقد قصد المعنى المجازي.³
كما في قوله:

حَاكٌ مِنْ صُنْعَةِ الْقَرِيضِ بُرُودًا *** لَمْ تُحَكْ وَشَيْهَا صَنْعَاءُ

ولعل البوصيري قد استأنس في نظم قصيدته بميمية ابن الفارض (ت632هـ)، ودليل ذلك تشابه المطلعين.⁴

فمطلع قصيدة ابن الفارض:

هَلْ نَارٌ لَيْلَى بَدَتْ لَيْلًا بَدِي سَلَمٌ *** أَمْ بَارِقٌ لَاحَ فِي الزَّوْرَاءِ فَالْعَلَمُ

أَرْوَاحَ نَعْمَانَ هَلَا نَسَمَةً سَحْرًا *** وَمَاءٌ وَجَرَّةٌ هَلَا نَهْلَةً بِفَمِ

يَا لَأَمَّا لَا فِي حُبِّهِمْ سَفَهًا *** كَفَ الْمَلَامُ فَلَوْ أَحْبَبْتَ لَمْ تَلْمِ.⁵

¹ محمد بن جميل زينو: قطوف من الشمائل المحمدية، ط3، دار الشهاب، الجزائر، ص37.

² رابع بوحوش: البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، صص24-25.

³ أحمد عبد التواب عوض: البردة، دار الفضيلة، القاهرة، 1996م، ص14.

⁴ زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص183.

⁵ ابن الفارض: الديوان، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1990م، ص185.

ومطلع قصيدة البوصيري:

أمن تذكر جيران بذي سلم***مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة***وأومض البرق في الظلماء من إضم

فما لعينيك إن قلت أكففا همتاً***وما لقلبك إن قلت استنق يهم.¹

وابن الفارض من أشهر شعراء عصر المماليك، وشعره جيد بليغ عليه مسحة القديم.²

فروح ابن الفارض بادية في بردة البوصيري، كما أن الرجلين صوفيّان وللصوفية ظاهرة التعلق بالشيخ، ووفقاً لهذا يكون تأثر البوصيري بابن الفارض واضحاً، وبحق لقد كان البوصيري بعد ابن الفارض من أعظم شعراء التصوف في مصر، فلم يُجارهم أحد في شاعريتهم وفي بلاغتهم.

وتعدُّ البردة من القصائد الطوال، وأشير هنا إلى عدد أبيات القصيدة، فهناك رواية تذكر أن عدد أبياتها مائة وستون بيتاً، وهناك من يذكر أنها مائة واثنان وستون بيتاً، ويذكر زكي مبارك أن عدد أبياتها اثنين وثمانين ومائة بيت، وهذا الاختلاف يرجع إلى زيادة بعضهم أبياتاً في المقدمة وأخرى في الخاتمة.

وبعد رجوعي إلى الديوان الذي اعتمده وجدت أبياتها مائة وستين بيتاً وعلى هذا العدد ساعتمد.

يقول خالد بن عبد الله الأزهري-حول ما دارت عليه البردة-:

"بردة قد غزلت من نعوت المصطفى ونسجت على نيرى الإخلاص والوفاء، واشتملت أولاً على براعة المطلع، وهي أن تفتتح القصيدة بذكر ما يلائم المقصود ثم على أسلوب آخر مشتمل على معنيين؛ أولهما التلهّف والأحزان والاعتراف بالغفلة والعصيان، وثانيهما التمسك بالموعة الحسنة والجدال بالبرهان، ثم على أسلوب آخر مشتمل على شيئين؛ على المديح والصفات وعلى الآثار والمعجزات، ثم على أسلوب آخر مشتمل على شيئين؛

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص165.

² محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الأيوبي، ج1، دار المعارف، مصر، 2008م، ص79.

على تصحيح الاعتقاد وتحقيق وظائف المبدأ والمعاد (يوم القيامة)، وعلى الدعاء والمُنَاجاة والابتهاال وإظهار الخوف والرَّجاء في العاقبة و الآمال...".¹

لقد جاءت البردة في عشرة أجزاء:

صدرها النسيب الذي جاء في مطلعها:

أَمِنْ تَذَكَّرِ جِيرَانَ بَدِي سَلَمَ *** مَزَجْتَ دَمْعًا سَرَى مِنْ مَقَلَّةِ بَدَمِ.²

ويسير البوصيري في هذا الجزء على درب غيره من الشعراء العرب، نراه يتحدث عن معالم ذي سلم بالحجاز وشوقه وحنينه إلى هذه الديار، ولم ينغمس الشاعر في الغزل المادي بل التزم العفة والاحتشام.

أي أنّ نسيبه هذا كان نسيباً نبويّاً؛ محبة خالصة للرسول عليه الصلاة والسلام وشوق كبير إلى معالم مولده ونشأته (الحجاز).

والنسيب هنا وقع موقع التمهيد لقصيدة دينية، ولولا حرصُ الشاعر على متابعة القدماء في افتتاح قصائدهم بالنسيب لما كان للتغزل مكاناً في القصيدة.³

أما الجزء الثاني فيتحدث الشاعر فيه عن النفس الإنسانية والتحذير من هواها، ويبدأ هذا الجزء بقوله:

إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَدْلِ *** وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ مِنْ نُصْحٍ عَنِ التُّهْمِ.⁴

يُحذِّرُ البوصيري في هذا الجزء من النفس الأمارة بالسوء وأنها من جهلها لا تتعظ بنذير الشيب والكبر، وكان الواجب عليها أن تعتبر.⁵

¹ عمر فروخ: معالم الأدب العربي في العصر الحديث، ج1، ط1، دار العلم، لبنان، 1985م، ص146.

² البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص165.

³ زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص185.

⁴ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص166.

⁵ أحمد عمر هاشم: بردة المديح المباركة، دار المقطم، مصر، 1995م، ص65.

وله نظرات في سياسة النفس على جانب من الدقة: كالتحذير من دسائس الشبَّع والجوع، وتشبيه النفس بالطفل، وأنَّ أداء الفرائض رتبة صغيرة لا تصل به إلى درجة الأصفياء.¹

وبعد أن طهَّر البوصيري نفسه واستعد استعدادًا نفسيًا للحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدحه، انتقل لهذا الغرض في الجزء الثالث مع قوله:

ظلمت سنة من أحياء الظلام إلى*** أن اشتكت قدماه الضر من ورم.²

فيتحدث عن تهجده عليه الصلاة والسلام، وعن زهده، ثم يذكر أنه سيّد الكونين والثقلين، وأنه لا أحد أبر منه في قول (لا) و(نعم)، وأنه مرجو الشفاعة، وأنه فاق النبيين في الخلق والخلق، فهو صاحب الشرف والعظم، ثم يُشبهه بالشمس والزهر والبدر والبحر واللؤلؤ في آخر الأبيات.

وله في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أبيات جيدة من الوجهة الشعرية كقوله:

لو ناسبت قدره آياته عظيمًا*** أحياء اسمه حين يدعى دارس الرمم.³

وقوله:

كالزهر في ترفِ البدر في شرف*** والبحر في كرمِ الدهر في همم.⁴

ثم ينتقل بنا البوصيري إلى الجزء الرابع ليتحدث عن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وعن المعجزات التي حدثت أثناء ولادته كعلامات دالة على نبوته، ويبدأ هذا الجزء بقوله:

أبان مولده عن طيبِ عنصره*** يا طيبَ مبتدأٍ منه ومختَم.⁵

¹ زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص176.

² البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص167.

³ المصدر نفسه، ص168.

⁴ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص168.

فتكلم عن مولده عليه الصلاة والسلام، وذكر الفرس وما أُنذروا به من نِقْم، وأن إيوان كسرى انصدع، وأن الشُّهب انقضت فوق الأصنام... وهذه معجزات عامة حدثت قبل وبعد مولده صلى الله عليه وسلم (قبل بعثته).

عن جُبَيْر بن مطعم عن أبيه قال: " كُنَّا جُلُوساً عند صنم بَبَوَّانَه قبل أن يُبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر، نحرنا جزوراً، فإذا صائح يصيح من جوف واحدة: اسمعوا إلى العجب! ذهب استراقُ الوحي، ونُرمى بالشُّهب لنبي بمكة اسمه أحمد مهاجره إلى يثرب، قال: فأمسكنا، وعجبنا، وخرج رسول الله ".¹

هذا ممّا وصلنا من الروايات الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام وأحداث مثل هذه كثيرة لا حصر لها.

ويأتي الجزء الخامس مع قوله:

جَاءت لدعوته الأشجار ساجدة*تمشي إليه على ساقٍ بلا قدم.**²

ويذكر البوصيري في هذا الجزء معجزات النبي صلى الله عليه وسلم في ستة عشر بيتاً، وهي معجزات مؤيَّدة.

وأول ما يذكر منها: سجود الشجر له، وتظليل الغمامة، وانشقاق القمر، وما صنع الحمام والعنكبوت بالغار، وتحقق رؤياه عليه الصلّاة والسلام، وكيف كان لمس راحته يبرئ المريض ويُشفي المجنون، وكيف كانت دعوته تنزل المطر حتى في السنّة الشَّهباء.

والملاحظ أنّ الشاعر قد انتقل من معجزة إلى أخرى، وجميعها معجزات واقعية تاريخية. أما الجزء السادس فيتحدث فيه البوصيري عن معجزة القرآن الكريم كأعظم معجزة، ويبدأ الجزء بقوله:

دَعْنِي ووصفي آيات له ظهرت*ظهور نار القرى ليلاً على علم.**³

¹ محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري -تاريخ الأمم والملوك-، المجلد1، ط1، دار صادر، لبنان، 2003م، ص325.

² البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص169.

³ المصدر نفسه، ص170.

فيذكر ما فيه من شيمٍ لتربية النَّفس، وما لآياته من حق، وصلاحه لكل زمان ومكان، وأجمل ما يقول فيه:

دامتَ لَدِينَا ففاقت كلَّ معجزةٍ *** من النبيِّين إذ جاءت ولم تَدُم.¹

فهو المعجزة الباقية الصريحة التي يصحُّ للمسلمين مواجهة العالم بها مقارنة بالمعجزات السابقة.²

ويستمر البوصيري في وصف الآيات القرآنية بأنها مُحكمة ليس فيها شبهة، وأنها على بلاغة، وأن تلاوتها تُبعد نار لظى، وأن الكلَّ يعرفُ صدقَ هذه الآيات لكن هناك من يتجاهلها حسداً وغيره.

ويقف الشاعر أمام هؤلاء المعارضين الذين تصدَّوا لبلاغة القرآن الكريم أمثال: مسيلمة الكذاب، وطليحة، والتمثي...³.

ويأتي الجزء السابع مع قوله:

يا خير من يمّم العافون ساحته *** سعياً وفوق متون الأئيق الرُّسُم.⁴

ويُخصّصه الإمام للحديث عن الإسراء والمعراج في تسلسل منطقي مستمد من القرآن الكريم.

فيصف رحلة الإسراء والمعراج وصفا رائعاً، منذ سيره صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم الاعراج به عبر السموات السبع، وما كان له من منزلة بين الأنبياء عليهم السلام، ثم فرض الله تعالى الصلاة على المسلمين، هذا الركن غير المنهدم- كما يقول البوصيري- فكنا أكرم الأمم لطاعة الله تعالى.

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص170.

² زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص190.

³ حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص52.

⁴ البوصيري: الديوان مصدر سابق، ص170.

أما الجزء الثامن من البردة فيتحدث فيه الشاعر عن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف فزعت منها قلوب الكفار، ثم يتحدث عن جهاده عليه الصلاة والسلام وعن غزواته.

ويبدأ هذا الجزء بقوله:

راعت قلوبُ العدا أنباءُ بعثته *** كنبأةٍ أجفلتُ غفلاً من الغنم.¹

فالأعداء طارت قلوبهم رُعباً لنبا البعثة النبوية، والرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم فنوي بأس وقوة، فنرى البوصيري يصف جنده عليه الصلاة والسلام وصفا دقيقا وكيف كان جهادهم آنذاك.

ذلك أن الجهاد في سبيل الله جهاد لتحقيق الخير والسلام والسمو والعدل في

المجتمعات.²

ويرى زكي مبارك أن الأبيات التي جاءت في وصف الجهاد والمجاهدين من نواذر الشعر في قصيدة البردة، لأن الشعر لا يتفق لهذا الرجل في جميع المقامات. ويؤكد البوصيري في الأبيات الأخيرة من هذا الجزء على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي عظيم، ويستمر في الثناء عليه كعادته في سائر القصيدة.

ثم يأتي الجزء التاسع مع قوله:

خدمته بمدحٍ أستقيلُ به *** ذنوبَ عمرٍ مضى في الشعرِ والخدم.³

يعلن الإمام في هذا الجزء مدحه للرسول الكريم، وعن أسفه لما فعله أيام صباه من ذنوب، وعن مدحه لذوي الشأن قبل مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم متحسراً على ذلك، لكن له أمل في المغفرة، ويعرض مقارنة بين مدحه هو للرسول صلى الله عليه وسلم ومدح زهير لهرم بن سنان، ويرى أن عطاء هرم لزهير عطاءً دنيوي أما عطاء الرسول

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص171.

² مصطفى السباعي: السيرة النبوية -دروس وعبر-، ط2، دار الزهراء، الجزائر، 1993م، ص129.

³ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص172.

صلى الله عليه وسلم له فهو عطاء دنيوي وآخروي، مختتما هذا الجزء بحرصه على ترك ملذات الدنيا وعدم الرجوع إلى أيامه الماضية.

أما الجزء العاشر والأخير، فيُنهي الشاعر قصيدته مناجيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، متوجّها بالدعاء إلى الله تعالى.
ومطلع هذا الجزء قوله:

يا أكرم الرُّسل مالي من ألُوذ به ***سواكَ عند حلولِ الحادثِ العميمِ.¹

وفي هذا المقطع الشعري ثلاث نداءات؛ نداء البوصيري لنفسه المُخطئة، ونداء لشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم له، ونداء إلى الله تعالى أن يغفر له خطاياهم.
ويمكن تلخيص ما سبق ذكره من أجزاء في الجدول الآتي:

الأبيات	موضوعها
11-1	النسب النبوي.
28-12	التحذير من هوى النفس.
58-29	مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.
71-59	التحدث عن مولده صلى الله عليه وسلم وعلامات بعثته.
87-72	التحدث عن معجزاته صلى الله عليه وسلم.
104-88	التحدث عن معجزة القرآن الكريم.
117-105	التحدث عن معجزة الإسراء والمعراج.

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص173.

التحدث عن جهاده صلى الله عليه وسلم وغزواته ووصف جنده.	118-139
في التوسل والتشفع.	140-151
في المناجاة والتضرع.	152-160

بعد عرضي لأجزاء البردة بشيء من التفصيل، ألقى الضوء على جوانب بارزة بالبردة، كبحر القصيدة، فبعد قيامي بعملية التقطيع العروضي، وجدتُ أن البردة من بحر البسيط.

والبسيط من البحور التقليدية، وسُمي بسيطاً لانبساطه من الطويل.¹ وللبسيط أهمية عند الشعراء لماله من بساطة وطلاوة.² وهو بحر مزدوج التفعيلة، أليق بالمدح لخصائصه الفنية والمقطعية ولذلك اختاره البوصيري لبردته.³

ولهذا البحر إيقاع جميل، وخير دليل على ذلك مطلع البردة:

أمن تذكر جيران بذي سلم *** مزجت دمعاً سرى من مقلة بدم.

فالشاعر قد أحسن اختيار البحر، كما أن موسيقى القصيدة سواءً الداخلية أو الخارجية قد جاءت ناجحة، ممّا ساعد على تناغم المفردات والجمل، وهي موسيقى هادئة توحى بمدى ما يفيض به قلب الشاعر من احترام وحبّ للرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد تعددت الحقول الدلالية في البردة ونذكر منها:

أ- ألفاظ أعضاء الإنسان: (مقلة، عينيك، قلب، رأسي، قدماء، فم، أحشاء، راحتين، الوجوه...) ولعلّ هذه الألفاظ ترجع إلى صوفيّة البوصيري. فتفاعل الصوفي مع البدن

¹ حسين أبو النجا: أوزان الشعر، ط3، المكتبة العصرية، الجزائر، 2007م، ص41.

² حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط2، دار المغرب الإسلامي، لبنان، 1981م، ص209.

³ رابع بوحوش: البنية اللغوية لبردة البوصيري، مرجع سابق، ص24-25.

وأعضائه ومتعلقاته قائم على أساس الفناء، إذ الجسد مادة، والبدن متصل بالدنيا ولا بد لتوجيهه للخلاص من الدنيا، سعياً وراء الحياة الأخرى التي يفنى فيها المرء عن جسمه.¹

ب- ألفاظ دينية: (الموت، نافلة، سنة، زهد، الرسول، الثقلين، الله، النصارى، آيات، الوحي، غيب، معجزة، نار لظى، القسط، رحمة، الصلاة، صبرا...) غلبت هذه الألفاظ على القصيدة، ويرجع ذلك إلى طبيعة الموضوع (قصيدة دينية) وإلى تصوّف الشاعر وثقافته الإسلامية.

وأكثر الشاعر من الجُمْل الفعلية مقابلة بالجمل الاسمية، كما تنوعت الأفعال بين الماضي والمضارع وفعل الأمر ومثال ذلك: (مزجت، جرى، سريت، أستغفر، تمضي، تخرق، سل، أطف، دع...) أمّا الأسلوب فقد تنوع ما بين خبر وإنشاء، وتقديم وتأخير فنجح في تنويعه ومثال ذلك: (أستغفر الله من قول ومن عمل، استفرغ الدّمع من عين قد امتلأت، لا تتكر الوحي من رؤياه...).

وقد ورد التشبيه بكثرة في البردة، يتكون أغلبه من مشبه ومشبه به وأداة التشبيه، نَبَع فيه روح الاتباع للتراث الشعري.

ساعد على إيضاحه خيال الشاعر، ومثال ذلك:

قوله: - كالزهر في ترفِ والبدر في شرفِ *** والبحر في كرمِ والدهر في هممِ.²

- كأنما الدين ضيف حلّ ساحتهم *** بكل قرمٍ إلى لحمِ العدا قرمِ.³

كما يلاحظ القارئ للقصيدة حضورَ محسنات بديعية زادت القصيدة جمالا ورونقا، وظّفها الشاعر مبتعدا كثرتها، ومثال ذلك:

قوله: - واخش الدسائس من جوع ومن شبع *** فربّ مخمصة شرّ من التخمِ.⁴

- طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا *** فما تفرّق بين البهم والبهم.⁵

¹ أماني سليمان داود: الأسلوبية الصوفية دراسة في شعر الحلاج، ط1، دار الثقافة، الأردن، 2002م، ص181.

² البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص168.

³ المصدر نفسه، ص171.

⁴ المصدر نفسه، ص166.

⁵ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص172.

وقد شكّل التناسُّ في البردة فضاء لا بأس به، وأبدع الإمام في توظيفه، وسنكتفي

بعرض بعضه:

يقول البوصيري:

أقسمتُ بالقمر المنشقَّ إنَّ له *** من قلبه نسبةً مبرورة القسم.¹

وهذا تناسُّ ديني من قوله عزَّ وجل:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾.²

ويقول الشاعر في موضع آخر:

وراودته الجبال الشمُّ من ذهبٍ *** عن نفسه فأراها أيما شمم.³

وهذا تناسُّ من السيرة النبوية؛ يقول خالد الأزهرى -شارحا البيت-: "أما مرادة

الجبال له فمأخوذة من حديث أن جبريل قال للرسول صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله تعالى

يقول لك: "أحبُّ أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكونُ معك حيثما كنت؟، فأطرق رسول

الله ساعة ثم قال: يا جبريل، إنَّ الدُّنيا دار من لا دارَ له".⁴

اخترتُ من النَّاسِ أبرزه، والمنتبِّع لأبيات القصيدة سيجد العديد منه.

وعلى العموم فأسلوب البوصيري أثر عليه الدين والسُّنة النبوية، واعتمد على كثير

من الصُّور البلاغية التي لم نُحِط بها كلَّها، واختار الكلمات السهلة السلسلة إلا بعض

الكلمات الغامضة لكنها لم تُنقص من بلاغة القصيدة، وامتازت بردته بطول النَّفس وعدم

الاحتفال بالزينة اللفظية، وقيامها على السجية بعيدا عن التكلف، وهذا راجع إلى صدق

عاطفة البوصيري اتجاه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وتعدُّ هذه النقطة أهم سبب

في إبداع البوصيري بالمديح النبوي عامة والبردة خاصة.

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص169.

² القرآن الكريم: 54 القمر 1.

³ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص167.

⁴ عمر فررخ: معالم الأدب العربي في العصر الحديث، مرجع سابق، ص148.

وللإشارة فإنّ الصّوفية قد ظهرت ظهوراً قوياً في الجزء الأخير من البردة، ومن الأفكار الصوفية التي طرحتها القصيدة:

* أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم إنسان كامل، وظهر ذلك في قول البوصيري:

محمد سيّد الكونين والتّقلين*** والفريقين من عرب ومن عجم.¹

* أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم حيّ لا يموت كحقيقة روحية أمّا من حيث الحقيقة الجسمانية فهو حادثٌ يُمكن أن يضمّ التراب أعظمه، وظهر ذلك في قول الإمام:

لا طيب يعدل تُرباً ضمّ أعظمه*** طوبى لمن تشقّ منه وملتئم.²

وقد اتهم بعض الفقهاء البوصيري بالغلوّ في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وأشدّ الأبيات غلوّاً في نظرهم:

لو ناسبت قدره آياته عظماً*** أحيا اسمه حين يدعى دارس الرّم

يا أكرم الرّسل مالي من ألوذ به*** سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي*** إذا الكريم تحلّى باسم منتقم³

لكن قراءتي لهذه الأبيات لا تحيل إلى غلوّ في رأيي، وإنّما حُبّ البوصيري الشّديد للرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي دفعه إلى نظم مثل هذه الأبيات.

فظلّت البردة بالرّغم من الطعن فيها مقدسة عند المسلمين، فكان لقراءتها شروطاً عند بعضهم كالتوضؤ واستقبال القبلة والعلم بمعانيها.

وخير ما نختم به حديثنا عن البردة قول بدر الدّين الزركشي (ت794هـ): " إنّ أبلغ ما مُدح به النّبي صلى الله عليه وسلم من النّظم الرائق البديع وأحسن ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع، وأجمع ما حوته قصيدة من خصائصه ومعجزاته، وأفصح ما أشارت إليه منظومة من بدائع كمالاته ما صاغه صوغ التبرّ الأحمر ونظمه

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص167.

² المصدر نفسه، ص168.

³ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص168-173.

نظم الذرّ والجوهر الشيخ الإمام العارف... البليغ الأديب إمام الشعراء وأشعر العلماء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري¹.

هذا ما راق لي من قول حول هذه الملحمة الشعرية، وكل ما ذكرته من مدح لهذه القصيدة ليس ضرباً من المجاملة بل حقيقة أكدتها بعد قراءتي لسطورها وفهم معانيها واستخراج بلاغتها.

ثالثاً: قراءة في نهج البردة لأحمد شوقي.

تعددت الآراء حول وضع أمير الشعراء لقصيدته (نهج البردة). فهناك من يرى أنّ شوقياً وضع نهج البردة تذكراً لحج الخديوي السابق عباس عام 1909م.² وقرأت في إحدى الكتب أنّ الشاعر لما صحبه الخديوي عباس معه إلى الحج، فرّ في منتصف الطريق ورجع إلى مصر ولم يبق بركن الحج آنذاك، فشعر بالذنب بعد مرور أيام، فنظم نهج البردة تكفيراً لذنبه.

وقيل أنّ أمير الشعراء أصيب بمرض عضال ألحّ عليه واحترار الطّب في هذا الداء، فما كان من شوقي إلا أن اقتدى بصاحب البردة الإمام البوصيري حينما تشفّع بالرسول صلى الله عليه وسلم خاشعاً مُمتثلاً طالباً الشفاء والصحة، فشفاه الله.³

وقد تأثر الشاعر بالإمام البوصيري في بُردته فسار على نهجها واقتفى أثرها، وسمّى قصيدته (نهج البردة)، وهو اسم يدل على مبلغ تأدّب شوقي وتواضعه، إذ هو لا يُعارض البوصيري بل يسير على نهجه، ذلك أنّ بُردته أصل المدائح النبوية.

وأثرُ بردة البوصيري واضح في نهج البردة لأحمد شوقي، لأنّ هذا الأخير قد قرأها طويلاً وتشبّع بمعانيها فانطبع بها لسانه، فظهرت آثارها في عمله هذا.

ونذكر هنا مطلعي البردتين وما فيهما من تشابه:

¹ عمر فروخ: معالم الأدب العربي في العصر الحديث، مرجع سابق، ص410.

² منير سلطان: البيوع في شعر شوقي، منشأة المعارف، مصر، 1986م، ص112.

³ حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص95.

يقول البوصيري:

أمن تذكر جيران بذي سلم***مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة***وأومض البرق في الظلماء من إضم.¹

ويقول أحمد شوقي:

ريم على القاع بين البان والعلم***أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

رمى القضاء بعيني جوذر أسدا***يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم.²

وتعدُّ نهج البردة من القصائد الطوال، إذ تتألف من تسعين ومائة بيت (190 بيتاً).

ويمكن تقسيم القصيدة إلى خمس أجزاء رئيسية:

- الجزء الأول: النسب كغرض شعري كلاسيكي تبتدأ به أغلب قصائد العرب.

- الجزء الثاني: الحديث عن الدنيا وملذاتها وانغماس النفس الإنسانية في هذه الملذات وتحذيره من النفس الأمارة بالسوء.

- الجزء الثالث: المديح النبوي وهو الغرض الأساسي للقصيدة، ويحتل هذا القسم المكان الأكبر بالقصيدة عبّر فيه الشاعر عن محبته للرسول صلى الله عليه وسلم بشعر جيد متناهي في الجودة، ويتفرّع هذا الجزء إلى أقسام متعددة وهي على الترتيب: علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ثم بعثته الشريفة وبعدها معجزتا القرآن الكريم والحديث النبوي، انتقالاً إلى مولده صلى الله عليه وسلم ثم إلى حادثة الإسراء والمعراج، متحدثاً عن الهجرة النبوية، ليخرج الشاعر عن غرض القصيدة مادحا الإمام البوصيري -لما له من فضل سابق عليه-، راجعا إلى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، مُحدثاً بعد ذلك مقارنة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وسيدنا عيسى عليه السلام، ثم مبرّثاً الرسول الأعظم وجميع الأنبياء من سفك الدماء، واصفاً في الأبيات اللاحقة جهاده صلى الله عليه وسلم وجهاد المسلمين تتخللها مقارنة بين حال المسلمين وحال الجحافل الصهيونية اليوم،

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص165.
² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص210.

مُتحدِّثًا بعد ذلك عن الشريعة الإسلامية بشيء من التفصيل، مقارنةً بينها وبين شرائع الحضارات القديمة ثم بين الخلفاء الراشدين والقيصرة لينتهي هذا الجزء بتفضيل الخلفاء عن القياصرة.

- الجزء الرابع: الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفاء الراشدين، واصفاً الجميع بأحسن الصفات.

- الجزء الخامس: اللجوء إلى الله تعالى بالابتهال والدعاء بالخير وحسن الختام للأمة الإسلامية.

هذا ما دارت عليه نهج البردة؛ هذه المطوِّلة الرائعة التي يتحدث فيها أمير الشعراء عن الرسول صلى الله عليه وسلم حديثاً عجباً جامعاً، في طفولته وشبابه ورجولته، وفي بعثته ورسالته ودعوته وهجرته وغزواته صلوات الله عليه.¹ ولا بد من إلقاء الضوء على أجزاء القصيدة للشرح والتوضيح أكثر.

يبدأ شوقي الجزء الأول للحديث عن الغزل كما بدأ قبله كل من الشعارين: كعب بن زهير والإمام البوصيري، ويظهر ذلك في مطلع القصيدة:

ريم على القاع بين البان والعلم *** أحلّ سَفَك دمي في الأشهر الحُرْم.²

وقد خصص الشاعر لهذا الغرض أربع وعشرين بيتاً، وتعدّ هذه الأبيات من أجود ما كتب شعراء العرب في الغزل.

صوّر فيها الشاعر حُسن محبوبته ومعاناته في حبّها، وكنمه ذلك العشق ورغبته الدائمة في الوصال، ويستمر الشاعر في وصف جمال هذه المرأة ويركّز على عينها الجميلة وطرفها الناعس الذي قد يؤدي بالمرء إلى المنيّة، ثم استسلامه لهذا الحُسن لكنّه يكتشف أنّ محبوبته بنت لأحد العظماء فحسبها ونسبها وقف عائقاً أمام الأمل في وصالها... ويظل الوصول إليها حلم من أحلام الشاعر.

¹ محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج1، دار الجيل، لبنان، ص102.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص210.

ينتقل أمير الشعراء إلى الجزء الثاني مع قوله:

يا نفس دنياك تخفي كل مَبْكِيَّة *** وإن بدا لك منها حُسن مبتسم.

فَضِي بتقواك فاها كلما ضحكت *** كما يُفَضُّ أذى الرَقَشَاء بالثَّرم.¹

يتحدث شوقي في هذا القسم عن الدُّنيا وملذاتها، فهي كالحَيَّة الرَّقْطَاء؛ لها لون جميل لكنها تخفي في فمها السُّم، فالدنيا لا تدوم لأحد فوجب على الإنسان أن لا يتعلق بها. وفي هذا المقام يذكر أحمد شوقي النَّفس الإنسانية الهائمة في ملذات الدنيا، ذلك أن طبيعة هذه النفس انجذابها نحو هذه الملذات وهي هنا أمارة بالسوء.

ويرى الشاعر أن الأخلاق هي سر قوام النفس وصلاحها، لينتقل بعد ذلك للتضرع إلى الله تعالى بأن يغفر له ذنبه، متوسلاً الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشفع له يوم القيامة، فالنفس قد تخطئ وتتناقض نحو الملذات وأجمل ما قال في ذلك:

إن جَلَّ ذنبي عن الغُفران لي أمل *** في الله يجعلني في خير مُعْتَصِم

لزمتم باب أمير الأنبياء ومن *** يمسك بمِفْتاح باب الله يغتَم²

ينتقل أحمد شوقي مع الجزء الثالث إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ويبدأ مع قوله:

علقت من مدحه حبلاً أعزَّ به *** في يوم لا عِزَّ بالأسباب واللُّحم

يُزري قريضي زهيراً حين أمدحه *** ولا يُقاس إلى جودي لدى هَرَم³

ويُعدُّ هذا القسم الموضوع الرئيسي لنهج البردة، وينطوي تحته عدة موضوعات تتخللها في كل مرة -غالبًا- أبيات تمدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

يُوضِّح الشاعر في أول الأمر طبيعة مدحه كشاعر مسلم للرسول صلى الله عليه وسلم، فمدحه هذا مختلف عن مدح زهيرٍ لهرم بن سنان.

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، صص 212-213.

² المصدر نفسه، ص 214.

³ المصدر نفسه، ص 215.

إذ عمله هذا عمل صالح سوف يعتزّ به أحمد شوقي يوم الآخرة. وبعد توضيح الشاعر هدفه الشريف يبدأ في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام بأبيات سهلة ورائعة كقوله:

مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي، وَرَحْمَتُهُ *** وَبُغْيَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ نَسَمِ

وَصَاحِبُ الْحَوْضِ يَوْمَ الرُّسُلِ سَائِلَةٌ *** مَتَى الْوُرُودُ؟ وَجَبْرِيلُ الْأَمِينِ ظَمِي.¹

ثم يعرض شوقي بعد ذلك علامات نبوته صلى الله عليه وسلم مع قوله:

لَمَّا رَأَاهُ بِحَيْرًا قَالَ نَعْرِفُهُ *** بِمَا حَفَظْنَا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالسَّيِّمِ.²

فأول هذه العلامات موقف "بحيرا" الرَّاهِبُ النَّصْرَانِي من الرسول صلى الله عليه وسلم ومعرفته بأنه الرسول المنتظر، وتتوالى العلامات بعدها، كعزلته صلى الله عليه وسلم بغار حراء للعبادة، وكيف فاضت يده بالماء فسقى الصَّحْبَ والحيوان، ثم الغمامة التي ظللت جسمه الشريف.

بل إنَّ الغمامة نفسها كانت تستظل بوجوده عليه الصلاة والسلام³. وبعد عرض أمير الشعراء لعلامات نبوته صلى الله عليه وسلم ينتقل إلى موضوع البعثة النبوية مع قوله:

وَنُودِي أَقْرَأْ تَعَالَى اللَّهُ قَائِلُهَا *** لَمْ تَتَّصِلْ قَبْلَ مَنْ قِيلَتْ لَهُ بِقَمِ.⁴

وأول البعثة نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم مع أول كلمة هي (اقرأ)، وبعدها سماع أهل مكة بهذه البعثة، وكيف كان حال قريش من هذا الأمر العظيم وذلك برفضهم له، ويصفهم شوقي بالجهل ويفضحهم كيف ينادون مُحمَّدًا بن عبد الله بالصادق الأمين منذ صغره ثم يكذبونه اليوم؟

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص215

² المصدر نفسه، ص215.

³ حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص111

⁴ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص216.

ففي حادثة وضع الحجر الأسود بمكانه اختلفت القبائل في وضعه، فارتضوا أن يحكم بينهم أول داخل من باب بني شيبه، فكان هو محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا بحكمه¹.

فبسط رداءه عليه الصلاة والسلام وأمرهم بأن تحمل كل قبيلة بطرف من الرداء بعد أن وضع فيه الحجر الأسود، وحلَّت المشكلة.

ثم يمدح الأمير الرسول صلى الله عليه وسلم مرة أخرى، قبل أن ينتقل إلى الحديث عن معجزة القرآن الكريم.
يقول في القرآن الكريم:

جاء النبيون بالآيات فاتصرت * وجئنا بحكيم غير مُصرم².**

فيصف القرآن بالصحة والصلاح لكل زمان ومكان، على عكس الكتب المنزلة التي لاقت التحريف، فالقرآن كتاب وعد الله بحفظه من خلال قوله عز وجل:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾³

ويخرج الشاعر من موضوع الفرقان ليعرض الحديث النبوي ويمدح صاحبه صلى الله عليه وسلم مع قوله:

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة * حديثك الشهد عند الذائق الفهم⁴.**

فالحديث الشريف لؤلؤ يحيي القلوب لحلاوته وطلاوته، كيف لا وقائله حبيب الله الذي أوتي جوامع الكلم؟

فلكلامه صلى الله عليه وسلم صفات ليست في كلام غيره، حيث قال عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو يوماً: "أكتب فو الذي نفسي بيده، ما خرج مني إلا الحق"⁵.
وينتقل شوقي للحديث عن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم مع قوله:

¹ مصطفى السباعي: السيرة النبوية - دروس وعبر -، مرجع سابق، ص 38.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص 217.

³ القرآن الكريم: 15 الحجر 9.

⁴ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص 217.

⁵ محمد بن جميل زينو: قطوف من الشمائل المحمدية، مرجع سابق، ص 26.

سَرَت بِشَائِرِ بِالْهَادِي وَمَوْلِدِهِ *** فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَسْرَى النُّورِ فِي الظُّلْمِ.¹

يتحدّث عن بشائر مولده عليه الصلاة والسلام وكيف أرعبت قلوب العرب الطاغين والغرب الباغين، وكيف انصدع إيوان كسرى، وعن حال الناس قبل البعثة النبوية؛ حيث ساد الجهل والفوضى وعبادة الأصنام وجور الفرس والروم، وأكل القوي للضعيف.

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾².

وينتقل شوقي للحديث عن الإسراء والمعراج كأعظم رحلة للرسول صلى الله عليه وسلم (بعد الأذى الذي تلقاه من أهل الطائف فأراد الله تعالى بهذه الرحلة أن يُنسيه ذلك الألم).

ويبدأ هذا الموضوع مع قوله:

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا، إِذْ مَلَئَكَه *** وَالرُّسُلَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمٍ³

يصف شوقي هذه المعجزة وصفا دقيقا، يبدأ بالإسراء؛ بانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلا، وكيف وجد الملائك والرسل قائمين ينتظرونه ليُصَلِّيَ بهم.

لينتقل بنا الشاعر إلى المعراج وكيف صعد الرسول صلى الله عليه وسلم السماوات ببراقه - وهذا الصعود بمشيئة الله تعالى - ثم يصف شوقي وصوله عليه الصلاة والسلام إلى السماء السابعة واستلامه العرش ومعرفة لثنتي العلوم والحكم.

ويُنهي أمير الشعراء هذا الموضوع ليبدأ موضوع الهجرة النبوية مع قوله:

سَلْ عُصْبَةَ الشَّرْكَ حَوْلَ الْغَارِ سَائِمَةً *** لَوْلَا مُطَارِدَةُ الْمُخْتَارِ لَمْ تُسَمَّ⁴

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص217.

² القرآن الكريم: 3 آل عمران 164.

³ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص218.

⁴ المصدر نفسه، ص219.

فيذكر قصة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق لَمَّا كانا بالغار، ومجيء الكُفَّار للمكان، ثم رجوعهم على أديبارهم، وحفظ الله عز وجل لحبيبه عليه الصلاة والسلام وأبو بكر الصديق.

فأبو بكر يرى أقدام المشركين وهم واقفون على فم الغار، فيرتعد خوفاً على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول له: والله يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موطن قدمه لرآنا.

فيطمئننه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟"¹ وحبّ الشاعر للرسول صلى الله عليه وسلم واضح في البيت الموالي للموضوع القادم، وتبدو هذه المحبة في افتخاره باسمه (أحمد) لأنه من أسماء الرسول الكريم. يقول شوقي:

يا أحمدَ الخير، لي جاه بتسميتي *** وكيف لا يتسامى بالرسول سمي؟²

فالأمير يفتخر بالرسول صلى الله عليه وسلم وباسمه، فتسمية شوقي بأحمد عزٌ وشرفٌ له لأنّ الاسم المبارك هو للحبيب محمد.

يخرج الشاعر عن الغرض الرئيسي للقصيدة ليمدح الإمام البوصيري في خمسة أبيات؛ أولها:

المادحونَ وأربابُ الهوى تبع *** لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم³

يُقرُّ الشاعر أنّ البوصيري إمام المادحين، وأنّ كلّ من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بعده تابعٌ ومتأثرٌ به، فمدح البوصيري للرسول مدحٌ خالص، ويؤكد شوقي أنه لا يعارض البوصيري في برده، ذلك أن عمله هذا فوق مستوى المعارضة، بل يُغبطه على هذا المقام الذي وصل إليه الإمام.

¹ مصطفى السباعي: السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 71.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص 220.

³ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وتعدّ وقفة أمير الشعراء على مدح البوصيري خروجاً على الشكل الكلاسيكي للقصيدة الدينية إلا أنه ليس مُخلاً بالموضوع العام، وإنما هو محاولة تجديدية من قبل شوقي بقصد كسر حدة الرتابة¹.

ويعود الشاعر إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مع قوله:

البدرُ دونك في حُسْنٍ وفي شرفٍ * والبحرُ دونك في خيرٍ وفي كرمٍ²**

فالبدر والبحر والجبال والأنجم والليث صغائرُ أمام الرسول الكريم، فهو أحسن وأشرف من البدر وأكرم من البحر وأرفع من الجبال وألمع من الأنجم وأقوى من الليث. ويصف شوقي شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحبّ الأبطال له بميل قلوبهم إليه عليه الصلاة والسلام، ثم ينتقل إلى وصف وجهه الكريم بأنه بدرٌ دجى بل بدرٌ تطلع في بدرٍ.

كما يتحدث عن يُتمه عليه الصلاة والسلام، وهذه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَجِدْكَ

يَتِيمًا فَآوَى﴾³.

وانظر إلى قوله:

ذُكِرْتَ بِالْيَتِيمِ فِي الْقُرْآنِ تَكْرِمَةً * وَقِيمَةُ اللَّوْلُوِّ الْمَكْنُونِ فِي الْيَتِيمِ.⁴**

فِيَتِيمِ الحبيب صلى الله عليه وسلم شيء نبيل ومصدر تكريم، فهو بيئته هذا متفردٌ كاللؤلؤ البارز.⁵

ويتم الرسول صلى الله عليه وسلم يجعله أكثر إحساساً بالمعاني الإنسانية النبيلة، وامتلاء بالعواطف الرحيمة نحو اليتامى والفقراء أو المُعذَّبين، وأكثر عملاً لإنصاف هذه الفئات والبرِّ بها والرحمة لها.⁶

¹ حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص96.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص220.

³ القرآن الكريم: 93 الصّحى 6.

⁴ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص221.

⁵ حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص122.

⁶ مصطفى السباعي: السيرة النبوية، مرجع سابق، ص41.

ويستمر شوقي في مديحه للرسول الكريم، وتعدُّ هذه الأبيات من أجود ما كُتب في المديح النبوي.

ويضع أمير الشعراء مقارنةً بين الرسول محمد والرسول عيسى عليهما السلام مع قوله:

أخوك عيسى دعا ميتاً، فقام له ** وأنتَ أحييتَ أجيالاً من الرّمم¹

فسيدنا عيسى أحيى موتى بإذن الله، وسيدنا محمد أحيى أمما من الجهل، وكلاهما معجزتان، لكن الشاعر يُفضل معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، ذلك أنّ معجزته أحييت أمة ولم تقتصر على أفراد فقط.

ويُنَبِّه الشاعر إلى أن الأنبياء لم يُبعثوا لقتل الناس، ويبدأ هذا الموضوع مع قوله:

قالوا: غزوت، ورُسل الله ما بُعثوا *** لقتل نفس، ولا جاؤوا لسفك دم²

فالكفار اتهموا الرسول الكريم بالغزو والحرب، لكنه عليه الصلاة والسلام وغيره من الرُّسل لم يُبعثوا لهذا الهدف.

ويصف الشاعر هؤلاء الكفار بالجهل والفسفسطة، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يستعمل السيِّف حتى اضطر لذلك مع هؤلاء الجهلة الذين لم تنفع معهم التي هي أحسن. ويضربُ أمير الشعراء مثالا لذلك تتمثل في المسيحية الغراء التي حوربت من طرف الظالمين فمنَّ الله برجال نصرها بالسيِّف.

وينتقل شوقي في الأبيات اللاحقة ليبيِّن مكانة سيدنا عيسى عند الله تعالى، وهي مكانة كبيرة ولذلك رفعه الله إليه، وشبهه وأشبهه به، فصلبته اليهود ظناً منهم أنه المسيح بن مريم.

ويعود الأمير ليمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ويصف جهاده مع قوله:

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص221.

² المصدر نفسه، ص221.

عَلَّمْتَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ يَجْهَلُونَ بِهِ *** حَتَّى الْقِتَالِ وَمَا فِيهِ مِنَ الدِّمِّ¹

وفي هذه الأبيات يذكر الشاعر أن الرسول عليه الصلاة والسلام مُعَلِّمٌ نَاجِحٌ، حتى القتال وآدابه قد عَلَّمَهَا لِأَصْحَابِهِ، ثم يصف دعوته للجهاد وما لهذا الأخير من فضل في تنظيم الكون وتأسيس الدُّول.

ينتقل الشاعر ليضع مقارنة أخرى بين حال المسلمين وحال الجحافل الصليبية في العصر الحديث مع قوله:

أَشْيَاعٌ عَيْسَى أَعْدُوا كُلَّ قَاصِمَةٍ *** وَلَمْ نَعِدْ سِوَى حَالَاتٍ مُنْقَصِمٍ²

فالمسلمون في فرقة وضعف أمّا الجحافل فهي تتحد لتقضي على المسلمين، ويشير شوقي لوجوب الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في الاتحاد لمواجهة الجحافل. ويعود الشاعر للحديث عن جهاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويبدأ هذا القسم مع قوله:

مُسَبِّحٌ لِلِقَاءِ اللَّهِ، مُضْطَرَمٌ *** شَوْقًا، عَلَى سَابِحِ كَالْبَرْقِ مُضْطَرَمٍ³

فههدف هؤلاء المجاهدين: الشهادة والجنة، ويُسمّيهم الشاعر سيوف الله البيضُ القاضية على أعداء الإسلام.

ونال هؤلاء الشهداء الدرجات العلى من الجنة، فقد قال عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁴.

ينتقل أحمد شوقي للحديث عن الشريعة السمحاء التي وهبها الله تعالى لرسوله الكريم -ويطول حديثه هنا-. يبدأ مع قوله:

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص222.

² المصدر نفسه، ص223.

³ المصدر نفسه، ص224.

⁴ القرآن الكريم: آل عمران 169-170.

شريعة لك فجرت العقول بها*** عن زاخر بصنوف العلم ملتطم
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها*** كالحلي للسيف أو كالوشي للعلم¹

فإنه عز جلاله قد وهب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام شريعة فجرت العقول لثرائها
بمختلف العلوم، وجوهر هذه الشريعة " التوحيد " .

ثم يرجع الشاعر إلى حال العرب قبل الإسلام ولتعتشهم لهذه الوجدانية، التي
ارتوى منها الناس بعد ظهورها مع الرسول صلى الله عليه وسلم
ويؤكد أمير الشعراء أن الأمة الإسلامية لتمسكها بالشريعة استمرت في الفتوحات
ووصلت إلى أبعد نقطة في العالم، وقد جذب الفاتحون أهالي هذه المناطق بشريعتهم
وعلمهم لا بقوتهم وسلاحهم.

ويعقد الشاعر مقارنة بين الشريعة الإسلامية ومختلف شرائع الحضارات الأخرى،
ويبدأ هذا الجزء مع قوله:

دع عنك روما، وآثينا، وما حوتاً*** كل اليواقيت في بغداد والتوم²

يقارن الشاعر بين حضارة الفرس وحضارة الإسلام، ثم بين الحضارة الفرعونية
والحضارة الإسلامية، ليعود إلى الحضارة الرومانية ويقارنها بحضارتنا، فترجع الكفة في
كل مرة للحضارة الإسلامية.

ويستمر شوقي في المقارنة، ويقارن هذه المرة بين رجال الحضارات السالفة
والخلفاء الراشدين، وشتان بين هؤلاء والخلفاء.
يقول:

ولا احتوت في طراز من قياصيرها*** على رشيد، ومأمون، ومعتصم³

يُفضّل الشاعر الخلفاء ويرى أنّ لا أحد من أولئك القياصرة يستطيع الوصول إلى منزلتهم.

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص224.

² المصدر نفسه، ص225.

³ المصدر نفسه، ص226.

فمن مثل عمر بن الخطاب في العدل؟ ومن مثل عمر بن عبد العزيز تواضعا؟ ومثل علي بن أبي طالب تضحية بنفسه للرسول عليه الصلاة والسلام؟ ومثل عثمان بن عفان حرصا على حفظ القرآن من التحريف؟

ويعود بنا الشاعر إلى أيام الخلفاء الراشدين، وما واجهوا من تعذيب واتهامات، كمقتل عثمان واتهام أبي بكر رضي الله عنهما، ويذكرنا أمير الشعراء بموقف سيدنا عمر بن الخطاب من موت الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف تصدى له سيدنا أبو بكر بقوله: "من كان يعبدُ محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبدُ الله فإنَّ الله حي لا يموت".
يقترّب الشاعر من إنهاء قصيدته (نهج البردة)، فيُصَلِّي ويسلِّم على الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام ويبدأ هذا الجزء مع قوله:

يا ربِّ صلِّ وسلِّم ما أردتَ على *** نزيل عرشك خير الرُّسل كلِّهم¹

هذا الحبيب المُتَّهَجِدُ المسبِّحُ لله تعالى بغير ملل ولا تعب، ويستمر شوقي في الدِّعاء بالصلاة على الخلفاء الأربعة طالبا الرحمة لهم؛ لأنهم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم المؤيدين له الناصرين لشريعة الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾².

فالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم أمرٌ واجبٌ، وقد سئل النبي عليه الصلاة والسلام: كيف نصلي عليك يا رسول الله؟

قولوا: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد".³

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص228.

² القرآن الكريم: 33 الأحزاب 56.

³ محمد رضا: محمد صلى الله عليه سلم، ط1، دار صبح، لبنان، 2007م، ص559.

ينهي شوقي نهج البردة بالدعاء للأمة الإسلامية بالخير والهناء، وأن يلفظ الله تعالى بالمسلمين ألا وهو اللطيف بعباده، ليتشفع الرجل بالرسول الكريم بعد ذلك، مكرراً الدعاء بمنح حسن الخاتمة للمسلمين كما أحسن عز وجل حسن البداية. ويظهر في هذا الموقف مدى تخلّق شوقي وإيثاره الدعاء للمسلمين دون الاقتصار على نفسه. فأحسن هو الآخر ختام بردته بقوله:

يا ربّ أحسنت بدءَ المسلمين به *** فتمّ الفضل، وامنح حسن مُختتم¹

فاللهم احفظ الأمة الإسلامية وأحسن خاتمتها، واجعلنا ممن يشفع فيهم حبيبك محمد يوم الحشر.

إنّ وقوفنا على نهج البردة لشوقي وضح لنا ما طرقه الشاعر، ويمكن تلخيص هذه الأفكار في المخطط الآتي:

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص229.

إنّ أول ما نلاحظه أنّ قصيدة نهج البردة من بحر البسيط وهو البحر نفسه الذي نظمت به بردة الإمام البوصيري. إذن فالبسيط أنسب للمدح لما فيه من رقة وإيقاع جميل. ويبقى هذا البحر محافظاً على مكانته بين البحور الخليلية واستطاع أخذ الصدارة عن غيره من البحور.¹

وقد اختار أحمد شوقي حرف الميم رويًا لقصيدته، والميم (م) من الحروف الشفوية المجهورة المُطبَّقة.

فالميم في نهج البردة تُعطي معنى الحب لضم الشفتين، وكسر الميم في القصيدة دليل على الإجلال لمقام النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد أحسن شوقي اختيار الرّوي، كما ساهمت القافية في إيصال المعنى للمتلقّي بربط الأبيات بعضها ببعض، فكان الإيقاع والموسيقى الداخلية واضحتان، والأوزان متنوعة والقوافي متعددة.

والقارئ لرائعة شوقي يُلاحظ تعدّد الحقول الدلالية؛ وأكثر هذه الحقول:

1- ألفاظ دينية: (الموت، الطاعات، ذنبي، الغفران، الله، الدارين، الأنبياء، الشفاعة، إحسان، جبريل، مكة، الوحي، التّسليم، الرسول، الرحمان، الآيات، الخالق، العرش، التسابيح، القرآن، الدين، معجزة، الصابرين، الصلاة ...). ولا حصر للألفاظ الدينية بالقصيدة، ويرجع هذا الكم الهائل إلى مدى ثقافة الشاعر الدينية من جهة، ولمقام القصيدة الذي لزم هذا الحقل الدلالي الديني من جهة أخرى.

2- ألفاظ الطبيعة: (القاع، البان، الأجم، البذور، شمس، الغاب، فلك، النجم، بطحاء، غمامة، الأرض، الشّهب، السماوات، البحر، الجبال، الكون، البرق، التراب، الغار ...).

¹ صلاح يوسف عبد القادر: في العروض والإيقاع الشعري، ط1، مطبعة الأيام، الجزائر، 1997م، ص62.

ولعل استعمال أمير الشعراء لهذه الألفاظ يعود إلى أنّ هذه الطبيعة آية من آيات الله تعالى في خلقه، فالإنسان لا بدّ أن يتدبر في هذا الكون ليعرف عظمة الخالق، ويظهر أيضاً أنّ الشاعر من مُحبّي الطبيعة وجمالها. فقد عُرف بحبه للطبيعة المصرية. إن المتتبع لأبيات القصيدة يجد طُغياناً للجمل الفعلية أكثر من الجمل الاسمية، ويدل ذلك على حركية القصيدة أكثر من ثباتها وسكونها، فتتوّعت الأفعال الماضية والأفعال المضارعة وقلّت أفعال الأمر (أدرك، اقرأ، سل، قوم ...).

أمّا أسلوب القصيدة فعرف هو الآخر تنوعاً بين الخبري الإنشائي، ومثال ذلك:

قول الشاعر:

فاق البُور، وفاق الأنبياء، فكم *** بالخلق والخلق من حُسنٍ ومن عِظَم.¹

وقوله:

فلا تسلّ عن فُرَيْشٍ كيف حَيْرْتُها؟ *** وكيف نَفَرْتُها في السَّهْلِ والعِلم؟²

وقد وردت الصُّور البيانية بكثرة، وتنوعت بين الاستعارة والتشبيه والكناية، فزادت المعنى وضوحاً وقوة وتركت القارئ معجباً بهذا التصوير الفني:

يقول الشاعر:

بيض، مفايلٍ من فعل الحُرُوب بهم *** من أسيفِ الله، لا الهنديّة الخُدم.³

تشبيهه بليغ؛ شبّه شوقي أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيفِ البيض، هذه السيفِ التي تزهِق الأرواح ولا تترك أحداً حياً.

ويقول أيضاً:

شمُّ الجبال إذا طاولتها انخفظت *** والأجم الزُّهر ما واسمتها تَسِم.⁴

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص217.

² المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ المصدر نفسه، ص224.

⁴ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص220.

وهنا كناية عن صفة، أي قصر الجبال أمام علو شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وارتفاع قدره عليه الصلاة والسلام.

ويقول شوقي في البيت الرابع والثلاثين:

رَكضَتْهَا فِي مَرِيحِ الْمَعْصِيَاتِ، وَمَا ***أَخَذْتُ مِنْ حِمِيَةِ الطَّاعَاتِ لِلتُّخَمِ.¹

شبه الشاعر النفس بالسائمة، فحذف المشبه به وهي السائمة وترك قرينة تدل عليها هي الركض، على سبيل الاستعارة المكنية.

وأنقل إلى المحسنات البديعية فأجدها قد زادت النص الشعري جمالا، ومثال ذلك:

تَخَطَّفَتْ مَهْجَ الطَّاعِينَ مِنْ عَرَبٍ *** وَطَيَّرَتْ أَنْفُسَ الْبَاغِينَ مِنْ عَجَمِ.²

وفي قوله:

فَاقَ الْبُدُورَ، وَفَاقَ الْأَنْبِيَاءَ، فَكَمْ *** بِالْخَلْقِ وَالْخَلْقِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ عِظَمِ.³

وتعدد الجناس في نهج البردة، فجنس شوقي خمسة عشر مرة في قسم المديح النبوي، وأحسن استعماله.

وكان للجناس دورين في بنية القصيدة:

1- دور عضوي: بالنسبة للمعنى العام في البيت أو المقطع أو في القصيدة برمتها.

2- دور ذاتي: المتمثل في خصائصه الفنية التي يتمتع بها.⁴

يقول شوقي:

بِيضُ الْوَجُوهِ، وَوَجْهَ الدَّهْرِ ذُو حَلِكٍ *** شُمُّ الْأَنْوَفِ، وَأَنْفُ الْحَادِثَاتِ حَمِي.⁵

والمحسن هنا طباق الإيجاب، حيث جمع الشاعر بين كلمة (بيض) وكلمة (حلك) في الشطر نفسه.

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص213.

² المصدر نفسه، ص217.

³ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ منير سلطان: البديع في شعر شوقي، مرجع سابق، ص126.

⁵ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص228.

وشكّل التناص الديني مكانا لا بأس به في القصيدة، فالشاعر وظّفه لطبيعة النص الشعري الذي يستدعي مثل هذا النوع من التناص.

أ-تناص من القرآن الكريم في قوله:

أسرى بك الله ليلا، إذ ملائكة*** والرّسل في المسجد الأقصى على قدم¹.

وهذا تناص من قوله عز وجل:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾².

ب-تناص من السيرة النبوية في قوله:

لما دعا الصّحّب يستسقون من ظمأ***فاضت يده من التسنيم بالسّم³.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما. قال:

كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا... كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَقَلَّ الْمَاءُ... فَطَلَبَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضْلَةَ مِنْ مَاءٍ، فَلَمَّا جِيءَ بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، أَدْخَلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "حِي عَلَى الظُّهُورِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ"، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ⁴.

ولذا قال الشاعر فاضت يده من التسنيم بالسّم.

لقد امتازت القصيدة الدينية بنفس طويل امتد إلى تسعين ومائة بيت عكست

شاعرية الأمير الخصبة وإحساسه الديني العميق.

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص218.

² القرآن الكريم: 17 الإسراء 1.

³ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص216.

⁴ محمد جميل زينو: قطوف من الشمال المحمدية، مرجع سابق، ص64.

كان أحمد شوقي في نهج البردة مؤمنا عامر النفس بالإيمان، مسلمٌ يقَدِّسُ أخوة المسلمين... حكيمٌ يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها، محافظ على اللغة يرى العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال.¹

ولشوقي قوة تعبيرية آسرة، لكنه لا يُساق وراء طلاوة الكلمة، وحلاوة النغم، بل يُريد من الشعر أن يأتي قويا يُعبّر عن موقفه الإيماني.²

أما اللغة الشوقية فوجدناها بسيطة سهلة، مُعبّرة وموحية، ومردّ ذلك رغبة الشاعر في إيصال ما يكتبه إلى الناس بسهولة ويُسر للتأثير فيهم.

فبالنظر إلى ما احتوته القصيدة من تقديم وتأخير وحذف وإضمار واستعمال للإيقاع المُتداخل -أو ما يعرف بحسن التقسيم-، ومن استخدام خاص للعطف والطباق والمقابلة، ومن انتقاء للكلمات بعينها، تشعر مع كل هذا بالقوة والسّموّ.³

وإذا كان شوقي من أكثر الشعراء قديما وحديثا تناولا لموضوع الأخلاق، فإننا نلمس في نهج البردة هذا الموضوع المهم الذي لم يغفل عليه الشاعر يوما. ومما قاله أمير الشعراء في الأخلاق:

صلاح أمرِك للأخلاق مرجعُه * فقوِّمِ النفس بالأخلاق تستقيم⁴.**

يُرجع شوقي صلاح الأمور إلى صلاح الأخلاق، فكَلِّمنا أصلح الواحد منا أخلاقه صلحت أموره سواءً مع خالقه أو مع بني جلدته.

ويقول الشاعر:

إنَّ الشَّمائلَ إن رَقَّتْ يكادُ بها * يُغرى الجماد، ويُغرى كلُّ ذي نَسَمٍ.⁵**

¹ شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، مرجع سابق، ص29.
² محمد عبد الرحمن الشامخ: البحث عن أدب حديث" يصلح الأرض العربية ولا يفسد فيها"، مؤسسة اليمامة الصحفية، السعودية، 1998م، ص86.
³ محمد زكي العمشاوي: أعلام الأدب العربي الحديث، دار المعرفة، مصر، 2005م، ص26.
⁴ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص214.
⁵ المصدر نفسه، ص216.

يقصد الشاعر بهذا البيت، أنّ الشمائل إنّ رقت فسيكسب صاحبها حتى أعداءه وحتى الجماد، فشماثله صلى الله عليه وسلم رقت للجميع فكسب محبة عظيمة لا تعادلها محبة لإنسان آخر.

ويقول أحمد شوقي في موضع آخر:

علمتهم كل شيء يجهلون به *** حتى القتال وما فيه من الذم¹.

يخاطب شوقي رسول الله صلى الله عليه وسلم: بأنك علمت الناس كل ما جهلوه؛ أولها الجهاد.

والجهاد الحقيقي هو الذي يُقصد به وجه الله تعالى وإعلاء كلمته ورفع راية الحق ومطاردة الباطل، وبذل النفس في مرضاة الله.²

بل علمهم حتى أخلاقه من عهد وأمان وحق وغيرها، فلا جهاد بغير أخلاق عند النبي عليه الصلاة والسلام.

وهكذا يستمر أمير الشعراء في التشييد بالأخلاق، ولم يُجرد قصيدته منها.

ولو جرد الأدب من القيم لن نجد بين أيدينا سوى عبارات خاوية أو خطوطا جوفاء أو كتلا صماء.³

لقد جاءت رائعة أحمد شوقي زافرة بالشمائل المحمدية، هي ذرة من رمل، لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لا تعدّ شمائله ذلك أن الله عز وجل قال فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.⁴

وواجهت نهج البردة هجوما من طرف بعض القراء لها، على رأسهم عباس محمود العقاد (ت1964م) -قبل انقلابه إلى كتابة العبقريات الإسلامية- حيث أصدر مع شريكه كتابا نقديا بعنوان (الديوان)؛ يعيبون على شوقي نهجه الإسلامي وطريقه الأدبي.⁵

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص222.

² سيد سابق: فقه السنة، ج3، ط1، دار الفكر، لبنان، 2006م، ص791.

³ سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، لبنان، 1980م، ص100.

⁴ القرآن الكريم: 68 القلم 4.

⁵ أحمد الجديع: دراسات في الشعر الإسلامي المعاصر، دار الضياء، الأردن، 2001م، ص278.

ويرى كامل الكيلاني (ت1959م) أنّ كثيراً من الأدباء عابوا على شوقي إكثاره من ذكر الأخلاق في شعره، ويُقرُّ أنّ من عابوا عليه ذلك قوم لا يفهمون الأخلاق إلا فهمًا سطحيًا.¹

زد على ذلك اتهامه بضعف المستوى الفني لمّا حاكى الإمام البوصيري في بردته. لكن نهج البردة تظل أميرة قصائد هذا الأمير ومن أحسن إبداعاته جودة وبلاغة وجمالاً وتأثيراً.

ينتهي هذا الفصل، ونهايته بداية للدخول في فصل ثانٍ إن شاء الله، فإذا كان الفصل الأول تحليلاً أسلوبياً للبردتين فإننا في القسم الثاني سنوازن بين هذين العملين بإذن الله تعالى.

¹ كامل الكيلاني: الأخلاق في شعر شوقي، مجلة أبولو، المجلد1، مصر، العدد 4، ديسمبر 1932م، ص390.

الفصل الثاني

بين البردة ونهج البردة - دراسة موازنة -

أولاً: ماهية الموازنة.

ثانياً: موضوعات المديح النبوي بين البردة ونهج

البردة.

ثالثاً: الخصائص الفنية والفكرية بين البردة ونهج

البردة.

رابعاً: جوانب التميز بين البوصيري وأحمد شوقي.

أولاً: ماهية الموازنة:

ورد في لسان العرب أنّ الموازنة من الفعل (وزن)؛ وزن الشيء إذا قدره، ووازنت بين الشيئين موازنةً ووزاناً، وهذا يُوازنُ هذا إذ كان على زنته أو كان يُحاذيه.¹
 ووازن بين الشيئين، موازنةً، ووزاناً: ساوى وعادل، والشيءُ الشيءَ: ساواه في الوزن وعادله، وقابله وحاذاه.
 وفُلائنا كافأه على فعاله.²

الموازنة دراسة يتم من خلالها المقارنة بين عناصر الأدب، وفنونه، وعصوره، ورجاله بقصد الإيضاح والترجيح.³

وليست الموازنة إلا ضرباً من ضروب النقد، يتميز بها الرديء من الجيد، وتظهر بها وجوه القوة والضعف في أساليب البيان: تتطلب قوة في الأدب، وبصراً بمناحي العرب في التعبير، ومن هنا كان القدماء يتحاكمون إلى النابغة تحت قبته الحمراء، وفي سوق عكاظ، إذ كان في نظرهم أقدراً الشعراء على وزن الكلام.⁴

ويخلط الكثير بين الموازنة والمقارنة والمفاضلة، ويُظنّ أنها بالمعنى نفسه، لكن هناك فرقاً بينهم؛ فالموازنة قائمة بين طرفين من أصل واحد، كموازنتنا بين أبي تمام والبحثري، فكلاهما من أصل عربي، أما المقارنة فتكون بين طرفين مختلفي الأصل، كمقارنتنا بين أحمد شوقي العربي ووليام شكسبير الإنجليزي.

أما المفاضلة فتكون بين الوسائل التي ترمي إلى غرض واحد، بينما الموازنة فتكون بين الأنواع التي ترجع إلى أصل واحد.⁵

فالموازنة قضية نقدية هامة في تاريخ النقد العربي الأدبي تحتل مكانة كبيرة منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا.

¹ ابن منظور: لسان العرب، المجلد 15، مصدر سابق، المادة (وزن)، ص 205-206.

² مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج2، مصدر سابق، المادة (وزن)، ص 1039.

³ علي بن أحمد الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م، ص 167.

⁴ زكي مبارك: الموازنة بين الشعراء، ط1، دار الجيل، لبنان، 1993م، ص 7.

⁵ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إذ ظهرت ظهوراً مبكراً في تاريخ الأدب العربي، وبقيت تُسايَره على مر العصور، فمنذ أن وازنت أم جندب بين زوجها علقمة وامرئ القيس - في وصف الفرس بحسب الرواة - بالجاهلية إلى ظهور الإسلام على أرض العرب، حيث وازنت العرب بين كلام الله تعالى وكلام البشر، إلى العصر الأموي الذي عرف موازناً بين الثلاثي (جرير والأخطل والفرزدق)، لتنتشط الموازنة في العصر العباسي؛ ومن موازناً تلك الفترة : ما كان بين أبي تمام والبحتري، وبين المتنبي وخصومه.

ظلت الموازنة قائمة حتى دخول العصر الحديث؛ الذي عرف أدباًوه هذا الفن، فوازنوا بين كثير من الشعراء أمثال: أحمد شوقي وحافظ إبراهيم.

إذن فموضوع الموازنة طريف وجيد ومفيد، وقد كلف الأدباء وفي مختلف العصور بالموازنة بين من يبعون من الشعراء، فكانت هناك الكثير من الموازناً.¹
وللاشارة فإن:

محمد بن سلام الجُمحي (ت232هـ) من أسبق من عَرَضوا "الموازنة" من خلال كتابه طبقات فحول الشعراء، فجعل أولئك الشعراء في طبقات رتبهم بعد الموازنة بينهم.
ثم عرض الموازنة بعده العديد من الأدباء أمثال: ابن قُتَيْبَة (ت276هـ) في كتابه الشعر والشعراء، والصُّولي (ت335هـ) في كتابه أخبار أبي تمام، والآمدي (ت370هـ) في كتابه الموازنة بين أبي تمام والبحتري.

وكانت موازنة الأمدي نموذجاً يحتذى به، لوضعه موازين يقاس بها عمل الشعراء.
وممن جاء بعده، وعرض قضية الموازنة: ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) في كتابه العمدة في محاسن الشعر ونقده، وابن الأثير (ت637هـ) في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وفي العصر الحديث نجد زكي مبارك بكتابه الموازنة بين الشعراء؛ وقد

¹ عيسى إبراهيم السعدي: جماليات الشعر العربي (على مر العصور)، ط1، دار المعترف، الأردن، 2009م، ص142.

وضّح فيه العديد من الأمور: كتعريفه بهذه القضية -الموازنة- وتطورها، وشروطها، وما إلى ذلك.

هذا بالنسبة للموازنة، أما الموازن أو بالأحرى الناقد، فوجب أن يعرف حياة الشاعرين بالتفصيل حين يوازن، وأن يتنبّه ممّا أحاط بهما من مختلف الظروف.¹ قارئاً بعدها قراءة واعية للنص الشعري، بتفكير هادئ، ورغبة ذهنية، مدركاً أفكار النص وأسلوبه، مع الحكم الصادق على الصور الخيالية، فبتطبيقك لهذه القوانين تستطيع أن توازن بين نصّين.²

يقول الأمدي: "فأمّا أنا فلست أفصحُ بتفضيل أحدهما على الآخر (أبوتمام والبحثري)، ولكني أوازن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية، وبين معنى ومعنى، فأقول: أيهما أشعر في تلك القصيدة، وفي ذلك المعنى، ثم احكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذ أحطت علماً بالجميل والرديء".³ يظهر لنا من خلال هذا القول طريقة الأمدي في موازنته بين أبي تمام والبحثري، فالأمدي يهّمه النص الشعري أكثر من صاحبه.

فالناقد إنما يوازن بين عبقرية وعبقرية، ويفاضل بين بصيرة وبصيرة، ويقارن بين إدراك وإدراك، بغض النظر عن الفروق الموضوعية التي يقضي بها اختلاف الأقاليم، والفوارق الزمنية التي يوجبها اختلاف العصور.⁴

فالناقد الحقيقي حسب ما سبق: هو الناقد الواعي بعمله، الذي يضع نصب عينيه فكر الشاعر وطريقة تفكيره.

ويضيف زكي مبارك قائلاً: "وهذا يتطلب من الناقد تضحية خطيرة، ولكنها ضرورية: يتطلب أن ينسى الناقد شخصيته، وأن يفنى في شخصية الشاعر الذي يدرسه:

¹ زكي مبارك: الموازنة بين الشعراء، مرجع سابق، ص30.

² عبد العاطي شلبي: دراسات في فنون الأدب الحديث، ط1، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2005م، صص70-71.

³ الحسن بن بشر الأمدي: الموازنة بين أبي تمام والبحثري، المكتبة العلمية، لبنان، ص12.

⁴ زكي مبارك: الموازنة بين الشعراء، مرجع سابق، ص29.

بحيث يبصر بعينه، ويسمع بأذنه، ويفقه بقلبه، لَيْسْبُرَ كما قلتُ، أغوار نفسه، وليرى مبلغ شعوره بما وصفه من الأشياء¹.

فعلى الناقد إذن، أن يكون موضوعيا لا ذاتيا، يعيش بشخصية الشاعر لا بشخصيته، وهذا يتطلب قوة وصبرا منه حتى يتسنى له إكمال عمله بنجاح.

ولمّا كان الشعر فن جميل تبهج النفس محاسنه كما يستدعي البصر محاسن التصوير فيه وتشنّف الأذن محاسن الموسيقى والغناء فيه، فهو كبقية الفنون الجميلة متعة تطلب من أربابها لتكميل الحياة المهذبة.²

وقد تذوقنا جمال هذا الفن في البردة ونهج البردة للشاعرين: الإمام البوصيري وأحمد شوقي.

وإن شاء الله سأقف لأوزان بين قصيدتيهما ما أمكنني لذلك سبيلا.

¹ زكي مبارك: الموازنة بين الشعراء، مرجع سابق، ص 29.
² أحمد الإسكندري وآخرون: المفصل في تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص 167.

ثانياً: موضوعات المديح النبوي بين البردة ونهج البردة.

اشتملت كل من القصيدتين (البردة) و(نهج البردة) على عدة أغراض شعرية؛ أهم هذه الأغراض: مدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. وهي الفكرة الرئيسية التي دارت حولها القصيدتين، أما الأفكار الجزئية فقد اتفق الشاعران في عرضها تارة واختلفا تارة أخرى.

وسأعرض في هذا الجزء موازنة بين الموضوعات التي طرقها كل من الإمام البوصيري وأحمد شوقي في مدحهما للرسول صلى الله عليه وسلم.

يمهّد البوصيري لمدح الرسول الكريم بنوع من التطهر الروحي والمادي بقوله:

أستغفرُ الله من قول بلا عمل *** لقد نسبتُ به نَسلاً لذي عُمِّ.

أمرتُك الخير لكن ما أئتمرتُ به *** وما استقمتُ فما قولي لك استقم

ولا تزودتُ قبل الموت نافلةً *** ولم أصلِ سوى فرضٍ ولم أصم¹.

ويتخذ أحمد شوقي طريق البوصيري في الوصول إلى مدح النبي عليه الصلاة والسلام وذلك بالتطهر والاستغفار مع قوله:

إن جل نبي عن الغفران لي أمل *** في الله يجعلني في خيرٍ معتصم

ألقي رجائي إذا عز المجيرُ على *** مفرج الكرب في الدارين والغم

وإن تقدم ذو تقوى بصالحه *** قدمتُ بين يديه عبرةَ الندم².

يرى البوصيري أن الشيبَ وضعف الجسد هما أكثر الأمور إلحاحاً لأن تتطهر النفس، بينما يرى شوقي أن سمو النفس عن الدنيا أمر واجب لترتفع النفس إلى عالم الإنسانية.³

ثم يصل البوصيري إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مع قوله:

ظلمتُ سنةً من أحيا الظلام إلى *** أن اشتكتُ قدماهُ الضّر من ورم

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص167.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص214.

³ علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدايح النبوية وعلمها، مرجع سابق، ص177.

وَشَدَّ مِنْ سَغَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى *** تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الْأَدَمِ

ورأودته الجبال الشَّم من ذهبٍ *** عن نفسه فأراها أيما شَمَم.¹

ويُعدُّ المدح أهم عنصر في البردة، وكان مدح البوصيري للمصطفى صلى الله عليه وسلم في خط مُتتابع، تناول فيه بعض صفاته عليه الصلاة والسلام كتهدّده ليلا لله تعالى، وزهده، وأنه سيد الكونين والتقلين...

ويدخل شوقي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مع قوله:

لَزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ *** يُمَسِّكُ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللَّهِ يَغْتَنِمُ

فَكُلَ فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ وَعَارِفًا *** مَا بَيْنَ مَسْتَلَمٍ مِنْهُ وَمُلتَزِمِ

عَلَّقْتُ مِنْ مَدْحِهِ حَبْلًا أَعَزَّ بِهِ *** فِي يَوْمٍ لَا عِزَّ بِالْأَنْسَابِ وَاللُّحَمِ.²

يذكر الشاعر الرسول الكريم بصفات حسنة؛ فهو أمير الأنبياء، وصفوة الباري، وصاحب الحوض....

لقد كان الانسجام في الأصل أظهر (البردة) والاتصال أشد وأوضح، كما لا تجهل أن (أمير الأنبياء) التي وردت في بيت شوقي تعبير جديد لم يسبق إليه شاعر.³

كما عرض الشاعران شفاعته الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو شيء تفوق به حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم عن باقي الأنبياء، فتذلل كل منهما للرسول الكريم في نيل شفاعته.

ينتقل الشاعران للحديث عن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم في مقطع آخر، فقال

البوصيري:

أَبَانَ مَوْلَاهُ عَنِ طَيْبِ عُنْصُرِهِ *** يَا طَيْبِ مَبْتَدِئِهِ وَمَخْتَمِهِ.⁴

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص167.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص ص 214-215.

³ طلبة محمد عبده: معارضات شوقي في المرأة، مجلة أبولو، مرجع سابق، ص460.

⁴ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص168.

وقال شوقي:

سرت بشائر بالهادي ومولده*** في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم.¹

يتحدث البوصيري عن مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام في سلاسة ويسر ومباشرة، ملتزماً تعاقب الأحداث التاريخية، وما جاء في القرآن والسنة.² بينما نلمسُ عند شوقي نوعاً من الشعور الديني الكبير، متجاهلاً الأحداث وتسلسلها، فكان بيته بليغاً في التصوير رغم ما حمل الشطر الأول من بيت البوصيري من معانٍ سامية. إذن فالبوصيري وقف كمؤرخ لهذا الحدث ملتزماً الدقة العلمية، أما شوقي فقد وقف متجاهلاً لهذه الدقة.³

يذكر الشاعران بعد ذلك علامات مولده ونبوته عليه الصلاة والسلام، فقال الأول:

يوم تفرسَ فيه الفرس أنهم*** قد أذروا بحلُولِ البؤسِ والنقم.

وبات إيوان كسرى وهو مُصدع*** كشمَل أصحاب كسرى غير مُلتئم.⁴

وقال الثاني:

ريعت لها شرف الإيوان فأنصدعت*** من صدمة الحق لا من صدمة القُدم.

أتيتَ والناس فوضى لا تمرّ بهم*** إلا على صنم، قد هام في صنم.⁵

وصف كل من الشاعرين حالة العرب والعجم أثناء مولد الرسول عليه الصلاة والسلام، وعدداً علامات نبوته (انصداع الإيوان، بؤس الفرس...)، لكن البوصيري أطل في ذكر علامات أخرى، بعدها ينتقل كل منهما إلى قصة الغار، فوصفا الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق وكيف وقاهما الله من شر الأعداء.

ومن المعجزات الهامة التي تطرق إليها البوصيري وشوقي حادثة الإسراء

والمعراج.

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص217.

² حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص150.

³ المرجع نفسه، ص151.

⁴ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص168.

⁵ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص218.

يقول البوصيري:

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ *** كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاغٍ مِنَ الظُّلْمِ
وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نَلْتَّ مَنْزِلَةَ *** مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرْمِ
قَدَمَتِكَ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا *** وَالرَّسْلُ تَقْدِيمُ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ *** فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ.¹

ويقول شوقي:

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَئَكَه *** وَالرَّسْلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ
لَمَّا خَطَرَتْ بِهِ التَّفَوُّا بِسَيِّدِهِمْ *** كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ، أَوْ كَالجُنْدِ بِالْعِلْمِ.
صَلَى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلِّ ذِي خَطَرٍ *** وَمَنْ يَفْزُ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتِمُّ.
جُبَّتِ السَّمَاوَاتُ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ *** عَلَى مُنَوَّرَةِ دُرِّيَّةِ اللُّجَمِ.²

احتلت هذه الحادثة عند كليهما أحد عشر بيتا، يصف كل منهما المعجزة وصفا رائعا.

جاءت أبيات البوصيري بنفس غنائي صوفي لأنه -كما علمنا- كان أحد شيوخ الطرق الصوفية، وقد أهمل الحديث عن ركوبة الرسول صلى الله عليه وسلم، بينما نجد شوقي يذكر (الأينق الرُّسم) لِيُنزَّهَ دَابَّةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَكُونَ مِنْهَا؛ وهو من باب اشتراك العبارة بين البوصيري وشوقي.³

إن انتقال الإمام في حديثه عن الإسراء إلى المعراج لا يجعلك تحسُّ به، على عكس شوقي إذ تحس بانقالك من الفكرة إلى الأخرى، كما أن المتتبع لأبيات القصيدتين يجد في كليهما موضوع المسيحية والإسلام.

يقول البوصيري:

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ *** وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص 170-171.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص 218.

³ سعاد عبد الوهاب عبد الكريم: إسلاميات أحمد شوقي، مرجع سابق، ص 136.

إلى:

فإنه شمسٌ فضلٌ همُّ كواكبها***يُظهِرُنْ أنوارها للناس في الظلم.¹

ويقول شوقي:

أخوك عيسى دعا ميئاً فقام له***وأنت أحييت أجيالا من الرمم

إلى:

أشياغ عيسى أعدوا كل قاصمة***ولم نُعد سوى حالاتٍ مُنقَصِم.²

تحدّث البوصيري عن تفوق محمد صلى الله عليه وسلم عن سائر الأنبياء، ثم تفرّده بمحاسن خاصة، وأنّ فضله على البشرية أكبر من فضل سائر الأنبياء، وأنّ حقيقته أقرب مأخذا من حقائقهم، ليصل في الأخير إلى الحكم بتفوقه عن سائر الرسل والبشر.

أما شوقي فأول شيء ذكره: أن معجزة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم معنوية لا مادية كمعجزة سيدنا عيسى عليه السلام، متحدثا بعدها عن المسيحية الغراء، وأنّ السيف أستمع في المسيحية قبل أن يستعمل في الإسلام، فهناك ضرورات أباحت استعمال السيف. ونلاحظ أن البوصيري لا يركز إلا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويُفضّله تفضيلا مطلقا، أما شوقي فنراه يُقدّم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الرسل لكنه يعطي للمسيح منزلة معه، كقوله: أخوك عيسى-في إحدى الأبيات-.

وقد ظل شوقي يُشيد بالمسيح، ويقف موقف المُعتدّ بالمسيحية المؤمن بتعاليمها، ذلك أن القارئ لشعره قد يكون مسيحيا، فينجذب نحوه، وتزيد شعبية أمير الشعراء -وهذا من أهداف الشاعر-³.

أما الجهاد في سبيل الله فموضوع طرّقه كل من البوصيري وشوقي.

يقول البوصيري في مطلع الموضوع:

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص ص167-168.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص ص221-222-223.

³ شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، مرجع سابق، ص129.

ما زال يلقاهم في كل مُعترك*** حتى حكوا بالقتال لحماً على وضم.¹

يصف البوصيري في هذا الجزء الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بأحسن الصفات أثناء جهادهم، وكيف كانت بسالتهم في الحروب، فيشبهه عليه الصلاة والسلام بالليث في الشجاعة ويشبه أصحابه بالجمال في صموده.

أما شوقي فيقول -في مطلع هذا الجزء-:

علمتهم كل شيء يجهلون به*** حتى القتال وما فيه من الذم.²

يصف الشاعر في هذه الأبيات جهاده صلى الله عليه وسلم وجهاد المسلمين، وينوه أمير الشعراء أن الإسلام قد أباح القتال في حال الاعتداء؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.³

لقد تحدث البوصيري عن الجهاد من الوجهة النظرية، وأقوى بيت له في هذا الموضوع:

وسل حنيناً وسل بداراً وسل أهدأ*** فصول حنن لهم أدهى من الوخم.⁴

أما شوقي فقد اتخذ منهجاً درامياً بإقامته حواراً بين أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام، ثم بينه وبين هؤلاء الأعداء، مبيّناً أن ظهور الرسول الكريم مُجاهداً قلب موازين عصره وموازين أيامنا هذه.⁵

فالملاحظ أن كلاً من الشعارين وصف الجهاد حسب ظروف عصره؛ فإن التزم البوصيري بجهاده عليه الصلاة والسلام وجهاد أصحابه، فإن شوقي قد خرج عن الجهاد أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ليتحدث عنه في العصر الحديث وحث الناس عليه، ووصوله إلى أن الجهاد أفضل وسيلة للاتحاد سواء في عهد الرسول الكريم أو اليوم. وكتب البوصيري عن الشريعة الإسلامية، التي قصد بها القرآن الكريم مع قوله:

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص171.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص222.

³ القرآن الكريم: 2 البقرة 194.

⁴ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص172.

⁵ حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص160.

آيات حق من الرحمان مُحدِّقة*** قديمة صفة الموصوف بالقدم

لم تقترن بزمان وهي تُخبرنا*** عنه المعاد وعن عادٍ وعن إرم.¹

يُنبئ الشاعر في هذا الجزء، مفتخراً ومعتزاً بالقرآن الكريم، مؤكداً أن من ينكر هذه

الشرعية السحاء جاحد كالذي يجحد نور الشمس.

أما شوقي فقد تحدث عن الشريعة الإسلامية، ولم تقتصر عنده على القرآن الكريم فقط بل

مع كل فعل أو قول صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ

الْهَوَىٰ (3) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.²

ويبدأ هذا الموضوع مع قوله:

شريعة لك فجرت العقول بها*** عن زاخر بصنوف العلم مُلتئم

يلوح حول سنا التوحيد جوهرها*** كالحلي للسيف أو كالوشي للعلم.³

فأساس الشريعة التوحيد، وازدهار الدول السابقة راجع لتمسكهم بالشريعة الإسلامية، ولنيل

السعادة في الدارين وجب التمسك بشريعة الإسلام.

والملاحظ أن البوصيري لتعمقه بأصول الشريعة الإسلامية وصل في أبياته إلى

مستوى فني لا بأس به، أما شوقي فلما أضاف فكرة "التوحيد" للموضوع فإننا نلمس بعض

التألق في أبياته بعدما غلب التكلف على جزئه.⁴

ويشير كل من الشعارين إلى هدفهما من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

يقول البوصيري:

ومئذ أُلزمتُ أفكاري مدائحه*** وجدته لخالصي خير مُلتزم

ولم أُرِدْ زهرة الدنيا التي اقتطفت*** يدا زهير بما أثنى على هرم.⁵

وينظم شوقي على الطريقة نفسها فيقول:

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص170.

² القرآن الكريم: 53 النجم 3-4.

³ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص224.

⁴ ينظر: حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص163.

⁵ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص173.

عَلَّقْتُ مِنْ مَدْحِهِ حَبْلًا أَعَزُّ بِهِ *** فِي يَوْمٍ لَا عِزَّ بِالْأَسَابِ وَاللَّحْمِ

يُزْرِي قَرِيضِي زُهَيْرًا حِينَ أَمَدَحُهُ *** وَلَا يِقَاسُ إِلَى جُودِي لَدَى هَرَمٍ.¹

يبين البوصيري طبيعة مدحه للرسول الكريم، ثم هدفه منه، ألا وهو نيل السعادة في الآخرة، فلا حاجة له بالدنيا، فهو يُنكر أن يكون مدحه للمصطفى صلى الله عليه وسلم كمدح زهير لهرم، والموقف نفسه يتخذه شوقي في قصيدته، فقد نهج هدف البوصيري في مدحه، فشوقي يوضح أن مدحه شريف غايته نيل شفاعته الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن ما تركه الشاعران عمل مكتوب عند الله تعالى، قال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.²

لقد ترك البوصيري وأحمد شوقي أثرا خالدا شريفا، كانت نواياهم فيه رضا الله تعالى وشفاعة نبيه الكريم فسيجزئهم الله عز وجل أحسن الجزاء على ما قدّموا؛ وهذا تكريم من الله تعالى إلى أموات سنوا سنة حسنة في الإسلام تمثلت هنا في المديح النبوي.

بعد مدح البوصيري للرسول صلى الله عليه وسلم يطلب العفو منه عن كل ما أسلفه في حياته من ذنوب مع قوله:

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ *** ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالخَدَمِ.³

ثم بدأ مُناجاته وعرض حاجاته مع قوله:

يَا أَكْرَمَ الرِّسْلِ مَالِي مِنَ الْوَدِّ بِهِ *** سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ.⁴

فتراه في هذا الجزء يطلب الشفاعة من الرسول الكريم لينتقل للتقرب إلى الله تعالى بأن يغفر له ذنبه، خاتما بُردته بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة دائمة. أما شوقي فقد طرق هو الآخر هذا الموضوع، بمناجاته الرسول الكريم، مصليا عليه وعلى أصحابه، طالبا من الله تعالى أن يهدي ويلطف بكل المسلمين.

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص215.

² القرآن الكريم: 32 يس12.

³ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص172.

⁴ المصدر نفسه، ص173.

يقول شوقي في مطلع الجزء:

يا ربّ صلّ وسلّم ما أردت على ***نزّل عرشك خير الرسل كلهم.¹

يتألم شوقي للوضع المأساوي الذي آل إليه المسلمون في العصر الحديث، وهو وضع لم يألفه البوصيري في عصره، ولذلك جاءت الكلمات الأخيرة لأمير الشعراء قوية ذات معاني تنبض بالحسرة والألم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.²

فعلى المسلمين تغيير أنفسهم ليغير الله عز وجل الوضع بعد ذلك، ولا بد أن التغيير يكون بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية وخلق النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

إذن فالوضع في نظر شوقي خطير، ذلك أن الصراع اليوم داخلي وخارجي على عكس ما كان في عصر البوصيري، فالصراع كان داخليا فقط.³

وللعلم، فإن أحمد شوقي قد تناول موضوع المقارنة بين الحضارات في مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم، أما البوصيري فقد أشار فقط للحضارات السابقة (الفرس والروم) باختصار، لنجد شوقي يقارن بين الحضارات القديمة: الرومانية واليونانية والفرعونية وبين الحضارة الإسلامية. فكان يُعلي من شأن الحضارة الإسلامية ويرفض الحضارات الأخرى كما في قوله:

دع عنك روما وأثينا وما حوتنا *** كل اليواقيت في بغداد والتوم.

وخل كسرى وإوانا يدلُّ به *** هوى على أثر النيران والأيم.

واترك رعمسيس إنَّ الملك مظهره *** في نهضة العدل لا في نهضة الهرم.⁴

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص 228.

² القرآن الكريم: 13 الرعد 11.

³ ينظر: حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص 172.

⁴ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص ص 225-226.

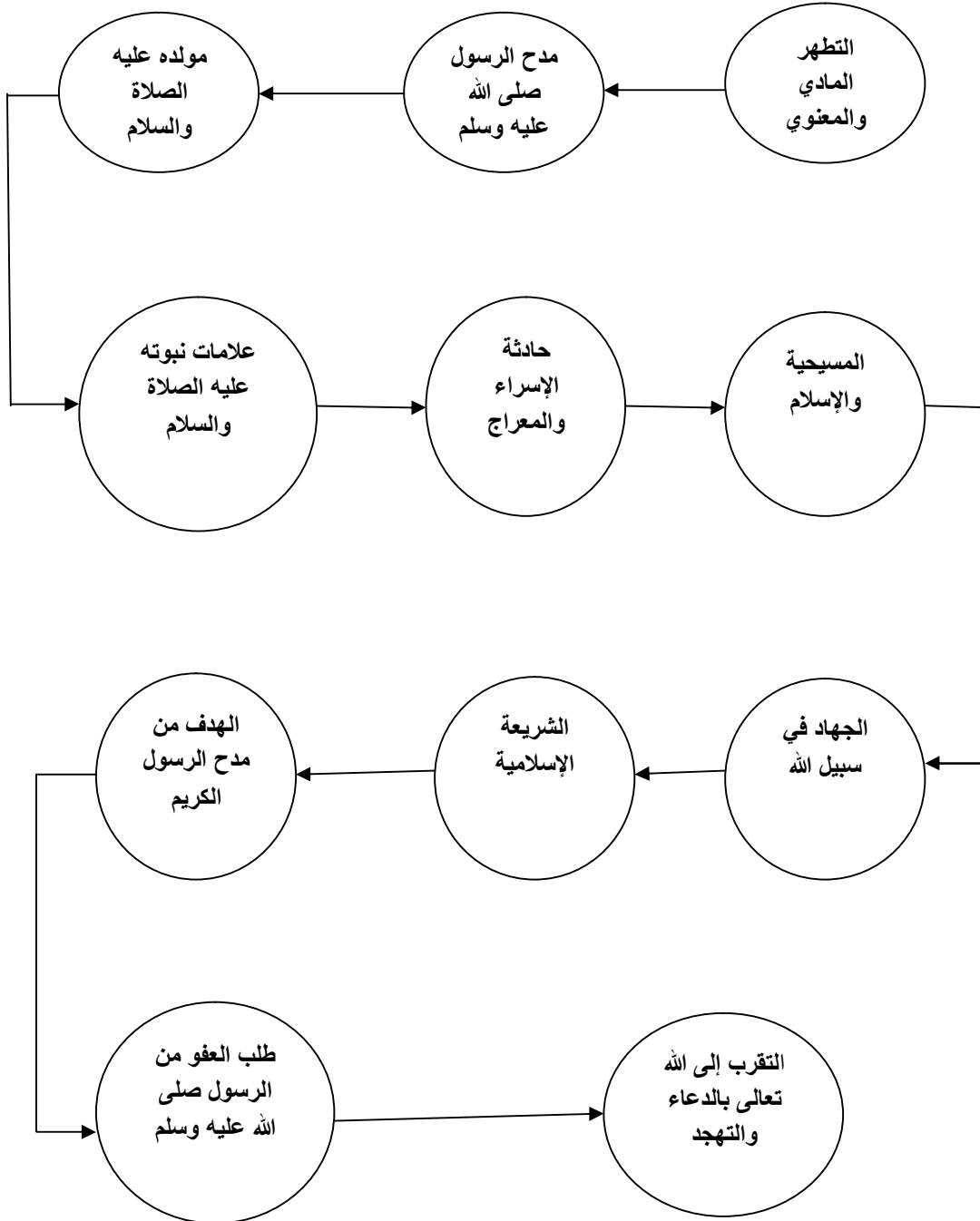
لقد جعل شوقي المبدأ الروحي الأخلاقي في عماد المقارنة، فيصل إلى خلاصة مفادها: أن كل الحضارات قائمة على المادية إلا حضارتنا الإسلامية العظيمة فإنها متشعبة بالروح المعنوية.

ويستمر شوقي في المقارنة، وهذه المرة بين الشريعة الإسلامية وشرائع الحضارات القديمة، ثم بين حكام هذه الحضارات والخلفاء الراشدين، وفي كل مرة يُعلي الشاعر من مكانة الحضارة الإسلامية، فهي حضارة دينية ودينية، روحية ومادية خالدة. كما أضاف الشاعر في قصيدته موضوعاً آخر تجلى في ذكر ومدح الخلفاء الراشدين، على عكس الإمام البوصيري الذي انصب اهتمامه على ذكر ومدح خالص للرسول صلى الله عليه وسلم.

فمادام شوقي قد مدح من قبل حضارة برمتها فمن الطبيعي أن يمدح الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز، فهم من ساهموا في بناء هذه الحضارة.¹ وقد تعددت الموضوعات التي طرقها الشاعران في قصيدتيهما، لكنني عرضت معظمها لأهميتهما وبروزها في النص الشعري.

¹ حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص167.

والتيك هذا المخطط الذي يجمع ما طرفته من موضوعات:



إن المادحين للرسول صلى الله عليه وسلم سواء البوصيري وأحمد شوقي أو غيرهم من الشعراء، لم يصلوا إلا إلى غيظ من فيض لا وصول إلى غايته. كان تكوينه عليه الصلاة والسلام خير تكوين، وتنقيفه أول تنقيف، فصدرت منه آياتُ بينات، وحكم خالداً، وعبارات في الأدب غاية، وفي البدع نهاية، كان لها شأؤٌ بعيدٌ، وأثر حميدٌ في تربية النفوس وإصلاحها وتقويم الأخلاق وتهذيبها.¹

ولهذا لم يتعاطَ فحول الشعراء المتقدمين كأبي تمام والبحري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم، وكان مدحه عندهم أصعب ما يحاولون، فإن المعاني - وإن جادت - دون مرتبته، والأوصاف - وإن كملت - دون وصفه.²

فأحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم وشمائله لا تُعدّ، لقد كان عليه الصلاة والسلام قرآناً يمشي على الأرض، وسراجاً ينيرُ ظلمة الباطل بل نوراً يُستضاء به، لذلك أضحى إجلاله وتوقيره والإشادة بخُلقه واجبا على كل مسلم.

وها نحن نلمس هذا الواجب عند البوصيري وأحمد شوقي بمدحهما للرسول صلى الله عليه وسلم.

بعد هذه الوقفة البسيطة التي فصلتُ بها الدراسة، أعودُ لأنوّه بالدخول الآن في موازنة بين النصين من حيث الخصائص الفنية والفكرية.

¹ محمد عبد العزيز الخولي: الأدب النبوي، ط4، دار المعرفة، لبنان، 2002م، ص7.

² عمر فروخ: معالم الأدب العربي في العصر الحديث، مرجع سابق، ص409.

ثالثاً: الخصائص الفنية والفكرية بين البردة ونهج البردة.

بعد استعراض نماذج من موضوعات المديح النبوي بين البردة ونهج البردة، أتحدث الآن عن أهم الخصائص الفنية والفكرية البارزة في القصيدتين، بإحداث موازنة بينهما.

وأول ما أوقف عنده اللغة؛ هذا الكائن الحي الذي له كيانه، وخصائصه الفنية، وفلسفته التي يعيش بها في أي مجتمع منفعلاً ومتفاعلاً معه.¹

ولكل شاعر لغة تميز شعره كما هو الحال عند كل من البوصيري وأحمد شوقي.

فالبوصيري صاحب لغة رصينة موقورة في جميع مدائحه النبوية وخاصة في قصيدة البردة.

جاءت اللغة في القصيدة رصينة وثرية في أغلب أبياتها، فعن البردة تلقى الناس طوائف من الألفاظ والتعابير غنيت بها لغة التخاطب.²

أما شوقي في مدائحه النبوية فقد كان شاعر اللغة العربية السليمة، حيث حافظت اللغة العربية في نهج البردة على ديباجتها الكلاسيكية، كما احتوت القصيدة على ثروة لغوية كبيرة عكست مدى ثراء التراث العربي الأدبي.

لقد جاء شوقي والعربية تمعن في إديارها، حتى أوفت على الزوال...فتقلصت المعاني وأسف الكلام... وكذلك فرق الدهر بين العرب ولغتهم... نعم لقد تواضعت هذه اللغة... حتى بعث الله في ديار العربية رجالاً مضوا يبعثون لغتهم بعثاً يجمع بين جديد المعاني في قديم البيان... وفي طليعة هؤلاء: أمير الشعراء أحمد شوقي بك.³

لقد اختار الشاعران ألفاظاً مناسبة؛ فلو تأملنا ألفاظ المديح الديني لدى كليهما لوجدناها تحوي معان كثيرة كلها تمجيد وحب للرسول صلى الله عليه وسلم.

¹ محمد الصادق عفيفي: النقد التطبيقي والموازنات، مكتبة الخانجي، مصر، 1978م، ص175.

² زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص215.

³ عباس حسن: المتنبي وشوقي (دراسة نقد وموازنة)، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1951م، صص223-224.

يقول البوصيري:

محمد سيّد الكونين والثقلين*** والفريقين من عرب ومن عجم
ومنزّه عن شريك في محاسنه*** فجوهر الحُسن فيه غير مُنقسم
فإنّ فضل رسول الله ليس له*** حد فيُعرب عنه ناطق بفم.¹

وما دامت هذه الألفاظ تتردّد في سياق مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي تكتسب طاقة إيحائية خاصة تؤكّد حب وتمجيد الشاعر للرسول الكريم.²
وشوقي بارع في انتقاء الألفاظ الملائمة للعاطفة موائمة للفكرة، ومن هنا كثرت في شعره الديني مفردات مستقاة من الدين أو موصولة به.³

ونجد هذه المفردات في نهج البردة -كقوله في الرسول صلى الله عليه وسلم-:

ذُكرت باليُتم في القرآن تكريمة*** وقيمة اللؤلؤ المكنون في اليُتم
الله قسم بين الناس رزقهم*** وأنت خيرت في الأرزاق والقسم
إن قلت في الأمر (لا) أو قلت فيه (نعم)*** فخيرة الله في (لا) منك أو (نعم).⁴

جاءت الألفاظ مناسبة للموضوع، موحية بحب الشاعر للرسول صلى الله عليه وسلم فكان متعلّقاً بروحه الشريفة.

وأعود للبوصيري فأجده يحسن اختيار الألفاظ المناسبة للمقام في وصفه لجند الرسول صلى الله عليه وسلم.

إذ يقول:

كأنما الدينُ ضيفُ حل ساحتهم*** بكل قرمٍ إلى لحم العدا قرمٍ
يجرّ بحر خميس فوق سابحة*** يرمي بموج من الأبطال مُلتطمٍ
من كل مُنتدبٍ لله محتسب*** يسطو بمستأصلٍ للكفر مُصطلمٍ.⁵

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص167.

² سعاد عبد الوهاب عبد الكريم: إسلاميات أحمد شوقي، مرجع سابق، ص131.

³ أحمد الحوفي: الإسلام في شعر شوقي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1976م، ص286.

⁴ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص221.

⁵ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص171.

جاءت الكلمات جزلة، ذات رنين خاص، يناسب مقام الحرب. أما شوقي فعندما يتحدث عن الجهاد، نجده متأثراً بروح عصره، فالألفاظ التي وردت في هذا الموضوع جاءت مناسبة له.

يقول:

قالوا: غزوت، ورسل الله ما بُعثوا *** لقتل نفس، ولا جاءوا لسفك دمٍ
بالأمس مالت عُروشُ، واعتلت سررُ *** لولا القذائف لم تُثلم ولم تصم
بيضُ مفاليل من فعل الحروب بهم *** من أسيف الله لا الهنديّة الخُدم.¹

خدمت هذه الألفاظ موضوع الحرب والسياسة، إذ يتخذها شوقي كمقابلات موضوعية لأحداث عصره.²

أما الألفاظ في موضوع الإسراء والمعراج جاءت مألوفة بعيدة عن التعقيد (في البردة) بل كان هذا الجزء أرق جزء من حيث الألفاظ، على عكس نهج البردة حيث جاءت الألفاظ مختارة اهتم الشاعر بانتقائها.

لذلك قيل أنّ لشوقي صلاحية اختيار الألفاظ وتأليفها ما يرفعه إلى أريكة الشعراء السامية.³

أنتقل إلى أسلوب الشاعرين بالقصيدتين، وللتوضيح:

الأسلوب القالب الذي تفرغ فيه الفكرة والصورة، أو المنوال الذي تتسج فيه التراكيب الوافية بصورها الصحيحة، وأفكارها المقصودة الواضحة.⁴

اتبع الشاعران في قصيدتيهما أسلوب التقليد للقصيدة العربية القديمة، لا من حيث المنهج والبناء فحسب، بل من حيث استخدام القاموس اللغوي للعربية الفصحى في جاهليتها، فلما تستمع للقصيدتين، فإنك تكون في حالة من يستمع إلى شاعر جاهلي.⁵

¹ أحمد شوقي، الشوقيات، مصدر سابق، ص ص 223-222-221.

² سعاد عبد الوهاب عبد الكريم: إسلاميات شوقي، مرجع سابق، ص 139.

³ أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، لبنان، ص 370.

⁴ محمد الصادق عفيفي: النقد التطبيقي والموازنات، مرجع سابق، ص 200.

⁵ علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، مرجع سابق، ص 176.

والواقع أن البردة ونهج البردة كما اتفقا -غالبا- في الموضوع فقد اتفقا أيضا في طابع الأسلوب.

كان لمدائح البوصيري قوة الأسلوب، وحسن الصياغة وجودة المعاني وجمال التشبيهات، وروعة الصور.¹

أما شوقي فقد استطاع أن يكون لنفسه أسلوبا أصيلا، أسلوبا لا يتحرر من القديم، ولكن في الوقت نفسه يُعبّر عن الشاعر وعصره وكل ما يريد من معان وأفكار، وهو أسلوب يقوم على الجزالة والرصانة والمتانة والقوة.²

إن القارئ للبردة ونهج البردة يلاحظ تنوعا في الأسلوب؛ بين الخبري والإنشائي، فبعد إحصائي لعدد الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية في كلا القصيدتين وجدت أن العدد قد تقارب في كليهما.

لقد كتب البوصيري جزء الإسراء والمعراج بأسلوب بسيط، أما شوقي فقد اختار أسلوبين متناقضين في هذا الجزء:

فبالأسلوب الأول: بسيط بلغ مبلغ النثر الفني وكان هذا في حديثه عن الإسراء، ليُغيّر أسلوبه مع حادثة المعراج فيهتم باختيار الألفاظ فتمتلا بالخيال الجامح، فكان لهذه الألفاظ جرس خاص لم يسبقه إليه مادح.³

أعود للبردة فأجد البوصيري قد استعمل أسلوب التمجيد والتغني في حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الأبيات (38-53).⁴

كقوله:

فاق النبيين في خلق وفي خلق *** ولم يُدانوه في علم ولا كرم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف *** وانسب إلى قدره ما شئت من عظم.⁵

¹ علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، مرجع سابق، ص168.

² شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، ط8، دار المعارف، مصر، ص114.

³ حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص115.

⁴ محمد الهادي الطرابلسي: ثقافة التلاقي في أدب شوقي، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010م، ص146.

⁵ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص167.

حيث ظهرت النزعة التمجيدية واضحة في هذا المقطع، دون أن يعلل أو يبرر البوصيري أقواله في الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما شوقي في أبياته (116-134) نجده قد ناجى روح سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فتوجه إليه بضمير المخاطب ليُقرَّب المسافة بينه وبين نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم.

فكان أسلوبه في هذه القطعة أسلوب الدفاع والنضال.¹

يقول شوقي:

أخوك عيسى دعا ميئاً فقام له *** وأنت أحييت أجيالاً من الرّمم

قالوا: غزوت ورسّل الله ما بُعثوا *** لقتل نفس ولا جاؤوا لسفك دم.²

ظهرت النزعة التعليلية التبريرية في هذه القطعة، وعمد الشاعر لذلك حتى يُحقق ويُصحح العديد من المفاهيم والأحداث.

وبالنظر إلى أسلوب المطابقة والمقابلة، وما طبيعته عند الشاعرين؟

أجد القطعة السابقة من البردة قائمة على المطابقة، سواء في مطابقة البوصيري بين بيتين أو في مطابقته بين عجز و صدر، أو في مطابقته بين العبارات والمفردات.

ومثال ذلك قوله:

فاق النبيّن في خلق وفي خلق *** ولم يُدانوه في علم ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتمس *** عرفاً من البحر أو رشفاً من الدّيم.³

فالشاعر طابق بين البيتين من جهة، وبين العبارات والمفردات (في علم / لا كرم) و (عرفاً من البحر / رشفاً من الدّيم) من جهة أخرى.

¹ محمد الهادي الطرابلسي: ثقافة التلاقي في أدب شوقي، مرجع سابق، ص148.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص221.

³ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص167.

وقد غدى أسلوب المطابقة ملف التعلق والتزكية والتمجيد والسكون والفناء، وهي المعاني التي قامت عليها هذه القطعة من البردة.¹

أما قطعة شوقي السابقة فأساسها المقابلة، كمقارنته التفاضلية بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيدنا عيسى عليه السلام، وبين الإسلام والمسيحية، ثم مقابلته بين السيف والقلم.

يقول شوقي:

أخوك عيسى دعا ميّتا فقام له *** وأنت أحييت أجيالا من الرّمم

جهل وتضليل أحلام وسفسطة *** فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم.²

قابل الشاعر في البيت الأول بين معجزة المسيح ومعجزة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وقابل في البيت الثاني بين السيف والقلم.

لقد وجد شوقي في المقابلة البديل الأسلوبي الأنسب لأسلوب المطابقة الذي توخاه من البوصيري في برده، فتلاحظ عنده دفاعا وهجوما وتحركا من عاطفة تتقدّ الحماسة إلى عقل مشغول بالإقناع، فكانت قطعته هذه، إطارا لحركة ذهنية قوية قوّت نزعة النضال فيها.³

لقد عرضت أبرز مظاهر أسلوب الشعارين بقصيدتيهما، فعكس لي ذلك طريقة تفكير البوصيري وشوقي من ناحية، وطريقة تعبيرهما ونظمهما من ناحية أخرى.

أما عنصر الموسيقى في البردة ونهج البردة فقد كان من أروع الخصال الفنية، فبمجرد سماعنا لأبياتهما تثبت في أنفسنا نغمات حلوة تتوالى. فتألفنا حقا من ألحان رائعة.

وقد اتفقت البردة البوصيرية ونهج البردة الشوقية في الوزن والقافية، فكلتاهما من الوزن البسيط؛ الذي هو أليق بالمدح، حيث أدرك علماؤنا القدامى الصلة الروحية بين جرس

¹ محمد الهادي الطرابلسي: ثقافة التلاقي في أدب شوقي، مرجع سابق، ص150.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص221.

³ محمد الهادي الطرابلسي: ثقافة التلاقي في أدب شوقي، مرجع سابق، ص252.

البحور وبين الأغراض الشعرية، كما هو الحال بين جرس بحر البسيط وغرض المدح، ولهذه الصلة أثر قوي في انسجام الشكل مع المضمون.

لقد قامت القصيدتين على الوحدة الموضوعية، وكان موضوعهما الرئيسي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

وللعلم فإنّ البوصيري في برده قد رتب الأبيات ترتيباً منطقياً، فكان ينتقل تدريجياً من جزء إلى آخر، أما أحمد شوقي فإنني قد لاحظت اضطراباً في ترتيب أبياته، تجده يتحدث مثلاً عن جهاده صلى الله عليه وسلم وعن جهاد الصحابة رضي الله عنهم، ليفصل الموضوع بأبيات يقارن فيها بين المسلمين والجحافل الصهيونية في العصر الحديث، وقد لاحظت هذا الاضطراب في العديد من المواقف.

كانت الموسيقى في مدائح البوصيري رنانة حلوة، عرف الإمام كيف يستخرج من ألفاظ اللغة جرسها، فاستطاع أن يستخرج من قيثارة الشعر العربي أرق وأرق ما تحمل في باطنها من أنغام.

أما شوقي فخلق موسيقياً له أذن لا تباري في سماع الألفاظ تأليف الألحان الشعرية، ولو أنه لم يتجه إلى الشعر لكان مغنياً أو موسيقياً من الطراز الأول.¹ لقد بالغ واصف الشاعر في هذا الجزء، فالشاعر لا نلمس في جميع نظمه ألحاناً شعرية دائمة.

وإذا كانت القافية أهم عناصر الموسيقى في الشعر، فقد جاءت متنوعة في كلا القصيدتين، وتمكنة من مكانها في البيت، طيبة مكملة للمعنى، فنظمت أنساق المقطوعات الشعرية وقربت الكلمات من بعضها البعض. غير أن الضرورة الشعرية أخرجت القافية عن طبيعتها في بعض الأحيان.

¹ شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، مرجع سابق، ص45.

وقد تشابه الشاعران في آليات واستراتيجيات بناء القافية، إلى حد أن شوقي قد استفاد من مفردات المنظومة التَّقَوِيَّة البوصيرية واستعان بها كقواف جاهزة في نهج البردة.

ويضع محمد عزام دراسة إحصائية في كلمات وقوافي القصيدتين، ويصل إلى نتيجة هي: استخدام البوصيري (167) كلمة من قافية الميم منها (16) مكررة، واستخدام شوقي (190) كلمة من القافية نفسها منها (30) مكررة و (40) وردت عند سابقه، فانفرد شوقي بـ (120) كلمة، وهي ميزة فنية -في رأيه-¹.

إن القافية الجاهزة لا تُعدُّ قدحًا بالمخزون المعجمي لدى الشاعر، ذلك أنه يتصرف في حدود ما يتيحُه المعجم له.

فلا شاعرًا عربيًا مهمًا كان مُجيدًا يمكن أن يدَّعي أن جميع قوافيه مُستريحة، وأنه دائمًا في أحسن حالاته.² خاصة في قصائد طوال كالبردة ونهج البردة.

أما الإيقاع فقد لاحظته في أبيات البردة (38-53) عاليًا، كما عرفت أبيات نهج البردة (116-134) موسيقى عالية أيضًا.

ويعود هذا لمدى عاطفة الشعارين التي جاءت مناسبة للموضوع، جعل تأثير هاتين القطعتين عاليًا ومؤثرًا في نفس القارئ.

وقد ساهم التكرار كظاهرة موسيقية بخلق إيقاع جميل بالقصيدتين.

إذ كرر البوصيري في المعاني، وكان ذلك في حديثه عن المعجزات، حيث كان يصوغها في كل مرة صياغة جميلة، ويضعها في ثوب جديد، فتبدو في نظرنا وكأن لا عهد لنا بها من قبل³

كقوله:

وما حوى الغارُ من خيرٍ ومن كرمٍ *** وكلُّ طرفٍ من الكفارِ عنه عمي

¹ ينظر: محمد عزام: النص الغائب (تجليات التناسل في الشعر العربي)، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001م، ص183.

² نزار قباني: الشعر قنديل أخضر، ط1، منشورات نزار قباني، 1984م، ص37.

³ علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، مرجع سابق، ص169.

فالصِّدْقُ في الغار والصدِّيقُ لم يَرِما*** وهم يقولون ما بالغار من أَرِم¹.

أما شوقي، فإنني لمحت في قصيدته تكرارات استعان بها، كتكراره اللفظة بالمعنى نفسه، ومن هذا التكرار لفظة (قَدَم) في الأبيات (83 و89 و101).

كما كرّر الشاعر في أبيات أخرى اللفظة بجرسيها لكن بمعنى مختلف، أي بالاستفادة من الإمكانيات الجناسية التي تحملها اللفظة. لكن هذا النوع من التكرار كان قليلاً قياساً بسابقه.

يقول الشاعر:

نور السبيل يُسّاس العالمون بها*** تكفّلت بشباب الدهر والهَرَمِ

واترك رعمسيسَ إن المَلِكُ مظهره*** في نهضة العدل لا في نهضة الهَرَمِ.²

جاءت لفظة (الهَرَم) في كلا البيتين لكنها ليست بالمعنى نفسه؛ فالأولى تدلّ على قبور الفراعنة المشهورة أما الثانية فتدلّ على مرحلة ما بعد الكهولة في حياة الإنسان.

أنتقل بعد حديثي عن عنصر الموسيقى إلى العاطفة، وكيف كانت عند البوصيري وأحمد شوقي؟

في البردة ظهرت العاطفة قوية دفاقة من قلب البوصيري، والملاحظ أن عاطفته الصادقة ثابتة في النص كله، مع اختلاف درجاتها من مقطع إلى آخر، وهذا الاختلاف لا يعني غيابها الكلي من النص.

كانت قصيدة البردة في سُمُو عاطفتها وروعة معانيها، فصدق عاطفة البوصيري هو السبب الرئيسي في نجاح هذا الإبداع.³

أما قصيدة نهج البردة لشوقي فقد امتازت هي الأخرى برقة العاطفة.

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص169.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص ص 225-226.

³ علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، مرجع سابق، ص ص 168-169.

ولا يصح الحُكم على عاطفة شوقي بالزيف اعتماداً على أنه حاكى البوصيري في البردة، لأنه لم يُحاكِهِ في حبه للرسول صلى الله عليه وسلم وإعجابه به، وإنما حاكاهُ في وزن القصيدة وفي رويها، إذ أن شوقي كان صادقاً في حبه للرسول صلى الله عليه وسلم، وصادقاً في إعجابه بالشرعية الإسلامية وكان شديد الأسى لما نزل بالمسلمين من ضعف، وقد تناول في نهج البردة هذا كله، فهو إذن يستمد من قلبه.¹

إذن فعاطفة شوقي في نهج البردة سابقة على محاكاته للبوصيري في برده.

فكما اتصفت البردة بخيال خصب وعاطفة صادقة، اتصفت نهج البردة بغزارة الخيال ورقة العاطفة، فامتازت القصيدتان بالجودة، فالنظم الذي لا ينبع من العواطف نظم زائف يعوزُه الصدق الشعوري.

أنظر إلى قول البوصيري:

فَحَزَّتْ كُلَّ فَخَّارٍ غَيْرِ مُشْتَرِكٍ *** وَجَزَّتْ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحَمٍ.

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ *** وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُوْلِيْتَ مِنْ نِعَمٍ.²

إنَّ عاطفة البوصيري هنا، جعلته يُمجِّد الرسول صلى الله عليه وسلم تمجيذاً عظيماً، فنراه يُفَرِّدُ له الرتب والمقامات بأسلوب روحاني؛ بسيط في لفظه كبير في معناه.

وأنظر إلى قول أحمد شوقي:

جُبَّتِ السَّمَاوَاتُ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ *** عَلَى مَنُورَةِ دُرِّيَّةِ اللُّجُجِ

رُكُوبَةَ لَكَ مِنْ عَزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ *** لَا فِي الْجِيَادِ، وَلَا فِي الْأَيْنُقِ الرَّسْمِ.³

فكما تناول البوصيري مولد الرسول صلى الله عليه وسلم - كحدث عظيم - بعاطفة صادقة عكست مدى حبه الشديد للرسول الكريم، يستعمل شوقي في الحديث نفسه خيالاً خصباً بعاطفة جياشة، فامتلاً هذا الجزء بالشعور الديني البحت.

¹ أحمد الحوفي: الإسلام في شعر شوقي، مرجع سابق، ص 263.

² البوصيري: الديوان، مصدر سابق، 171.

³ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، 218.

وعندما يقف البوصيري ليتحدث عن المعراج النبوي، فإنك تحسُّ وأنت تسمعه يصف ذلك المعراج، كأنك تواكب النبي عليه الصلاة والسلام في رحلته. وإحساس مثل هذا دليل على تأثرك بما قال الشاعر.

ويستعمل شوقي في المعراج الخيال الواسع؛ ذلك أن قصة المعراج كما تحتاج إلى إيمان لتصديقها تحتاج أيضا إلى خيال لوصفها.

فأكرم شوقي هذه المعجزة، وجمع فيها بين الأخيلة والعواطف.¹

وبخصوص المحسنات البديعية، فقد وردت متنوعة في بردة البوصيري والأمر نفسه في نهج البردة لأحمد شوقي.

ساهمت هذه المحسنات في إعطاء نغم خاص، وعكست مدى القدرة الفنية للشاعرين.

وللعلم فإن البوصيري وشوقي لم يُبالغا في توظيف هذه المحسنات، وإلا قلنا أنهما تكلفا في النظم وأسرفا في التتميق فاهتما بالألفاظ أكثر من المعاني.

كما ورد التشبيه في البردة، واستعمل البوصيري التشبيه المعنوي مقللاً من التشبيه المادي -إلا نادرا- خاصة في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال البوصيري:

والنفسُ كالطفلٍ إن تُهمله شبَّ على*** حب الرضاع وإن تفضمه ينقطم

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر*** ومن هو النعمة العظمى لمغتتم

يا نفسُ لا تقنطي من زلةٍ عظمت*** إن الكبائر في الغفران كالمم.²

أما أحمد شوقي فقد مزج في نهج البردة بين التشبيه الروحي والتشبيه الحسي عامة.

كما في قوله:

لما خطرت به التفوا بسيدهم*** كالشهب بالبدر، أو كالجند بالعلم

فأدبروا ووجوه الأرض تلغهم*** كباطل من جلال الحق مُنهزم

¹ حسن حسين: ثلاثية البردة، مرجع سابق، ص156.

² البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص ص 166-170-173.

والجهل موت فإن أوتيت معجزة***فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم.¹

يصف شوقي الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج في البيت الأول، ويشبّه الرسل بالشهب أو الجُند الملتقّة حول البدر أو العلم الذي هو الرسول صلى الله عليه وسلم، أما في البيت الثاني فيشبه الجهل بالموت، لينتقل إلى تشبيه الكفار بعد ذلك بالباطل. وكما أشرت في الفصل السابق إلى التناص، فإن البردة قد غلب عليها التناص الديني، ولعل ميول البوصيري لهذا النوع من التناص راجع إلى ثقافته بالشريعة الإسلامية من جهة وإلى طابع القصيدة الديني الذي يستدعي مثل هذا النوع من جهة أخرى. أما شوقي فقد غلب على قصيدته تناص الحضارات، حيث أثرت الثقافة العربية الجديدة (الحضارة الإنسانية) في مديحه النبوي.

فالشاعر ابن مُجتمع راق، وابن ثقافته الإسلامية وغير الإسلامية، فهو دارس لتاريخ العرب وأشعارهم وتاريخ الحضارات، ودارس للأدب الأوربية من جهة أخرى، لذلك اتخذ منها حضارياً إنسانياً في قصيدته.

والظاهر أنّ البردة البوصيرية لم تعكس لنا شيئاً حضارياً أمّا نهج البردة الشوقية فقد عكست لنا العديد من المظاهر الحضارية، وإذا تأملنا نهج البردة يظهر لنا أن أحمد شوقي يطبع على غرار البوصيري في الوزن والقافية والألفاظ والتراكيب...

فشوقي اختلف عن البوصيري في صياغة الأفكار -رغم أنه أخذ بعض العبارات الجاهزة عن صاحبه-، واشترك معه في العديد من الأمور كالصور والموسيقى والوزن، وذلك من باب إطالة النفس في القصيدة ولتطعيم الشعر بهذا الموروث وأساليبه، لأن الموروث يكسب القصائد جلاله القدم.²

أخذ شوقي عن البوصيري بعض المعاني وتصرف فيها، فلا تشعر عند قراءتها بأنها مأخوذة من الإمام، تبدو لك من مكونات أبياته الشعرية. ومثال ذلك:

¹ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص ص 218-219-221.
² سعاد عبد الوهاب عبد الكريم: إسلاميات أحمد شوقي، مرجع سابق، ص 137.

قول البوصيري:

وَجَلَّ مَقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ *** وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا وُلِّيتَ مِنْ نِعَمٍ.¹

وقول شوقي:

وَضَاعَفَ الْقُرْبُ مَا قَلَّدتَ مِنْ مَنِّنٍ *** بَلَا عَدَادٍ، وَمَا طَوَّقتَ مِنْ نِعَمٍ.²

سلك البوصيري في بيته سبيل التعظيم لدور الإسراء، بينما سلك شوقي سبيل الإلاحاح في تقوية هذه المعجزة.³

ويتصرف شوقي في بعض الصور كقوله:

الْحَامِلَاتُ لَوَاءِ الْحُسْنِ مُخْتَلِفًا *** أَشْكَالُهُ: وَهُوَ فَرْدٌ غَيْرٌ مُنْقَسِمٍ.⁴

ويقول البوصيري:

مُنَزَّهُ عَنِ شَرِيكَ فِي مُحَاسِنِهِ *** فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرٌ مُنْقَسِمٍ.⁵

فالصورة مشتركة بين الشاعرين، غير أن البوصيري وصف بهذه الصورة الرسول صلى الله عليه وسلم، أما شوقي فقد وصف بها النساء.⁶

هذه بعض المعاني التي اخترتها من بين الكثير من المواقف التي استند شوقي على عرضها بمعاني البوصيري.

والواقع أن كلا القصيدتين تميزتا بطول النفس، حيث بلغت البردة مائة وستين بيتا، ووصلت نهج البردة إلى مائة وتسعين بيتا.

فعارض شوقي النفس الغنائي الصوفي للبوصيري بنفس نضالي ملحمي، ويظهر أن أمير الشعراء بمحاكاته للبوصيري قد جدد القراءة للبردة بقصيدته نهج البردة أكثر مما جدد الكتابة.

¹ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص171.

² أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص219.

³ سعاد عبد الوهاب عبد الكريم: إسلاميات أحمد شوقي، مرجع سابق، ص138.

⁴ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص211.

⁵ البوصيري: الديوان، مصدر سابق، ص167.

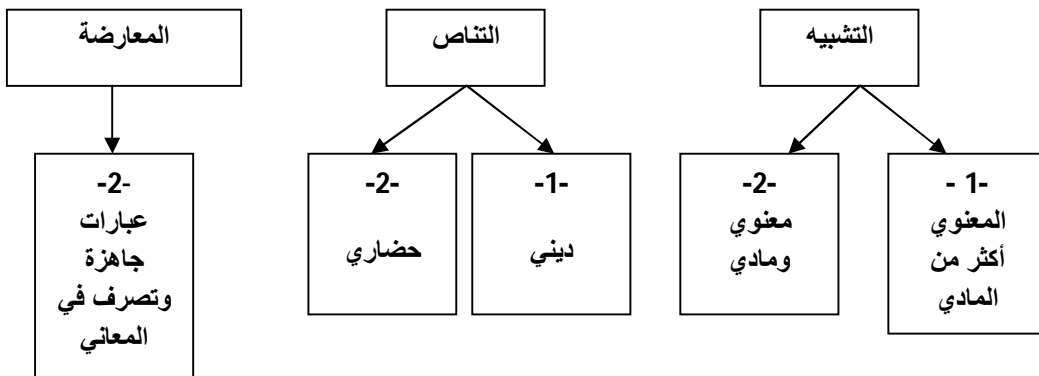
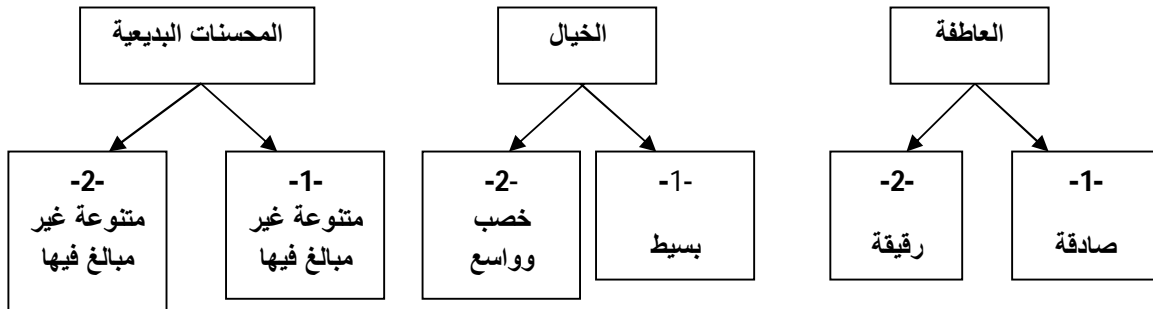
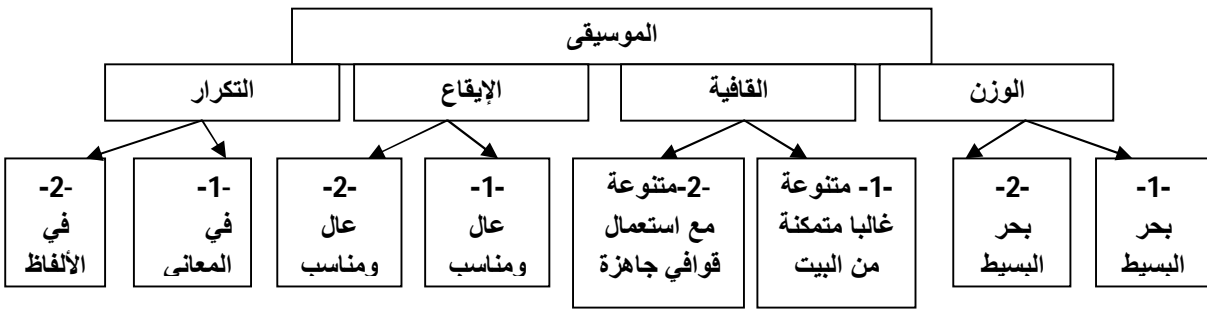
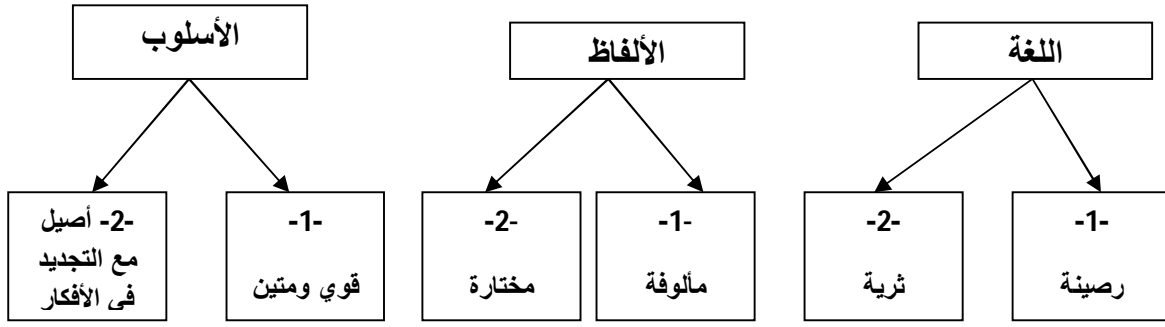
⁶ سعاد عبد الوهاب عبد الكريم: إسلاميات أحمد شوقي، مرجع سابق، ص139.

نخلص في نهاية هذا الجزء أن:

الخصائص الفنية والفكرية بين البردة ونهج البردة كثيرة، وقد اخترت أهمها وأبرزها، وعلى العموم فإن لكل من النصين خصائص طبعته بطابع الجودة والرصانة. ويمكن عرض هذه الخصائص في المخطط الآتي للتوضيح أكثر:

المفتاح:1- البوصيري.

2- أحمد شوقي.



رابعاً: جوانب التميز بين البوصيري وأحمد شوقي.

أردت في هذا الجزء عرض أبرز جوانب التميز بين البوصيري وأحمد شوقي في قصيدتيهما.

وسأبدأ بعرض أهم ما تميز به الإمام البوصيري عن صاحبه أحمد شوقي:

* أولاً: تُعدّ قصيدة البردة أهم وأشهر القصائد في المدائح النبوية.

هي أولاً: قصيدة جيدة، وهي ثانياً: أيسر قصيدة في هذا الباب، وهي ثالثاً: مصدر وحي لكثير من القصائد التي أنشئت بعد البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.¹

* ثانياً: البردة صورة صادقة لصاحبها وترجمان ناطق بما يحسه نحو ممدوحه، ولعل هذا الإخلاص والصلاح اللذين توفّرا لصاحبها هما من قدّرا له الذُيوع والرواج بين الآلاف من نوعها.²

وشوقي نفسه يقرُّ بمدى حب البوصيري للرسول صلى الله عليه وسلم وتعلّقه به؛ فقال يخاطب الرسول الكريم:

مديحه فيك حب خالص وهوى *** وصادق الحب يُملئ صادق الكلم.³

* ثالثاً: جاءت معاني البردة مرتبة، حتى لتكادُ تحسبها فصولاً مستقلة كل فصل له مطلعته ومقطعه.⁴

فالمعاني منظمة غير مختلطة ببعضها البعض.

* رابعاً: حسن انتقال البوصيري بين أجزاء بردته، فعندما تقرأ القصيدة -وقد تصل إلى نهايتها- لا تحس بتخلُّص أو انتقال بين أجزائها.⁵

فالأبيات مترابطة؛ كل بيت له صلة بسابقه وتاليه، وهذا ما خلق معان متماسكة ومرتبطة.

وأنقل الآن لأعرض ما تميز به أحمد شوقي عن الإمام البوصيري.

¹ زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص 171.

² طلبة محمد عبده: معارضات شوقي في المرأة، مجلة أبولو، مرجع سابق، ص 462.

³ أحمد شوقي: الشوقيات، مصدر سابق، ص 220.

⁴ طلبة محمد عبده: معارضات شوقي في المرأة، مجلة أبولو، مرجع سابق، ص 463.

⁵ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* أولاً: طرق أحمد شوقي موضوعات لم يطرقها صاحبه، وقد أجاد فيها، حتى لنكاد نعتقد أن البوصيري لو تحدّث عنها لما بلغ مبلغه.¹
ومن تلك الموضوعات:

- مقارنة بين الحضارات؛ فنجده يقارن بين الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية، ثم بين الشرائع، كشرائع وقوانين الفرس والروم وشريعتنا الإسلامية، ويفضل شريعتنا بالتأكيد.

- تحدّثه عن الخلفاء الراشدين، فوصفهم وبيّن مبلغ علمهم وأخلاقهم، ومدى إخلاصهم للإسلام وتفوقهم عن حكام الحضارات السابقة.

* ثانياً: انتظام نهج البردة على طائفة من الحكم الخالدة، ابتكر الشاعر بعضها واقتبس بعضها الآخر من الأصل الذي عارضه (البردة)، وقد تصرف في هذا الذي اقتبس تصرفاً محموداً ميّزه وأظهر فضله عليه.²

كما أدخل الشاعر الأخلاق في القصيدة ذلك أنه شاعر الأخلاق، وقد ركز عليها، فكانت نهج البردة تربوية أخلاقية إضافة إلى طابعها الديني.

* ثالثاً: امتازت القصيدة بجزالة الألفاظ وتنوع المفردات واستقرارها، مما يدل على ثراء الرصيد اللغوي للشاعر وانقياد العربية إليه.³

هذه الخصائص ولدت لغة بسيطة جعلت الخاصة والعامة من الناس يقرأ نهج البردة لبساطتها ووضوحها.

كما زخرت القصيدة بخيال خصب، لا سيما في حديث أحمد شوقي عن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وعن حادثة الإسراء والمعراج.

¹ طالبة محمد عبده: معارضات شوقي في المرأة، مجلة أبولو، مرجع سابق، ص462.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* رابعاً: عكست لنا قصيدة نهج البردة مظاهر حضارية عديدة لقيام التناص عند الشاعر على الحضارات، وهي فكرة لم يسبقه إليها ملاح للرسول صلى الله عليه وسلم.

والشاعر وحده من بين المادحين أدخل روح زماناً وملابساته ومذاهبه وآرائه في تصوير النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت قصيدته درسا في الموازنة بين المذاهب والشرائع والقصائد والآراء، كأنه يتحدث بلسان العصر على أربعة عشر قرناً لم تُضف كلها شيئاً جديداً إلى ما أورده هذا النبي العظيم.¹

إنّ في شعر شوقي مزيج مما بقي حيا في نفوس معاصريه من الروح العربية القديمة، ومن الفضول الفكري والتطلع الروحي لدى العرب في أواخر القرن التاسع عشر للميلاد وأوائل القرن العشرين.²

وأختم هذا الفصل بقولي:

أن جوانب التميّز التي أوردتها أثبتت لنا مدى القدرة الفنية والفكرية للإمام البوصيري وأحمد شوقي، وتبقى هذه الجوانب مجرد آراء تحتمل النقصان أو الزيادة. وعلى العموم فالشاعران قد أبدعا وأجادا، ولا يخلو عمل أدبي من النقصان إن كان هناك بعض الضعف في طياته.

¹ ينظر: سامي الدهان، المديح، مرجع سابق، ص81.

² سلمى الخضراء الجبوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق، ص78.

خاتمة

أظهر لي البحث نتائج تمثلت فيما يلي:

- البوصيري شاعر من العصر المملوكي، اشتهر بمدحه للرسول صلى الله عليه وسلم، فهو صاحب أهم قصيدة في المديح النبوي هي البردة.
- أحمد شوقي أمير شعراء العصر الحديث، نهض بالشعر العربي في جميع أغراضه، فنظم في المديح النبوي قصائد عديدة؛ من أشهرها نهج البردة.
- العصر المملوكي عصر راج فيه المديح النبوي رواجاً كبيراً، فالأوضاع السائدة جعلت الشعراء يتقربون إلى الله تعالى بالدعاء وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم بطلب شفاعته.
- العصر الحديث عصر نشطت فيه الحياة الثقافية، خاصة الشعر، وقد نوع فيه الشعراء بين جميع الأغراض الشعرية بما فيها المديح النبوي.
- المديح النبوي هو الشعر المنصب على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، هو لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع لا يصدر إلا من قلوب صادقة ومخلصة.
- نشأ المديح النبوي مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فجزوره ترجع إلى العصر الإسلامي منذ حسان بن ثابت وتمتد عبر جميع العصور، وصولاً إلى العصر الحديث.
- البردة اسم لقصائد قيلت في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، كبردة البوصيري ونهج البردة لأحمد شوقي، وعنون الشعراء المادحون لروحه الشريفة قصائدهم بهذا الاسم تبركاً ببردته عليه الصلاة والسلام.
- فعنوان البردة كعتبة للنص جاء جذبا للقارئ للإبحار في عالم القصيدة.
- بردة البوصيري من القصائد الطوال، جاءت في عشرة أجزاء، وعدّ المديح النبوي أهم جزء فيها.
- نهج البردة من مطولات أحمد شوقي، تأثر فيها الشاعر بالبوصيري، جاءت في خمس أجزاء رئيسية أهمها المديح النبوي.

- الموازنة موضوع طريف وجيد ومفيد، كلف الأدباء وفي مختلف العصور بالموازنة بين من يبغون من الشعراء، فكانت هناك الكثير من الموازنات.
- تعددت موضوعات المديح النبوي بين البوصيري وأحمد شوقي، وقد اتفقا فيها غالباً، مع بعض الاختلاف الذي يرجع إلى أفكار الشاعر.
- الخصائص الفنية والفكرية بين القصيدتين كانت كثيرة، وقد وازنت بين أبرزها وأهمها. وعلى العموم فالشاعران تشابها في خصائص واختلاف في أخرى، فتميز البوصيري عن صاحبه تارة وتميز شوقي عنه تارة أخرى.
- عكس ذلك مدى القدرة الفنية والفكرية لكليهما.
- امتازت نهج البردة بموضوعات جديدة وخصائص فنية وفكرية متعددة وسمت المديح النبوي في العصر الحديث بطابع خاص.
- إنّ المديح النبوي موضوع مفيد وممتع؛ استفدت من دراسته وتمتعت أثناء البحث والعمل، ولا أزال أرغب في الغوص أكثر بعالمه.
- في الختام أدعو الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فهو أعلم بالنية التي دفعنتي لاختياره، فأساله أن يجعله حُجَّةً لي إنه ولي ذلك والقادر عليه.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم برواية حفص.

ثانياً: المصادر.

1. أحمد شوقي: الشوقيات، ط1، دار صبح، لبنان، 2008م.

2. البوصيري: الديوان، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، ط1، مطبعة البابلي، مصر، 1955م.

ثالثاً: المراجع.

* الكتب:

3. إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، دار المسيرة، الأردن، 2003م.

4. أحمد الإسكندري وآخرون: المفصل في تاريخ الأدب العربي، مكتبة الآداب، مصر، 1923م.

5. أحمد الجدع: دراسات في الشعر الإسلامي والمعاصر، دار الضياء، الأردن، 2001م.

6. أحمد الحوفي: الإسلام في شعر شوقي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1976م.

7. أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط3، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1998م.

8. أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

9. أحمد عبد التّواب عوض: البردة، دار الفضيلة، مصر، 1996م.

10. أحمد عمر هاشم: بردة المديح المباركة، دار المقطم، مصر، 1995م.

11. أماني سليمان داوود: الأسلوبية الصوفية - دراسة في شعر الحلاج -، ط1، دار الثقافة، الأردن، 2002م.
12. إيمان الجمل: المعارضات في الشعر الأندلسي، ط1، دار الوفاء، مصر، 2007م.
13. بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار نضير عبود، لبنان.
14. ابن بطوطة: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التراث، لبنان، 1968م.
15. جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
16. حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط2، دار المغرب الإسلامي، لبنان، 1981م.
17. ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ط1، دار الهلال، لبنان، 1987م.
18. حسن بن بشر الأمدي: الموازنة بين أبي تمام والبُحترى، المكتبة العلمية، لبنان.
19. حسن حسين: ثلاثية البردة - بردة الرسول صلى الله عليه وسلم -، مكتبة مدبولي، مصر.
20. حسين أبو النجا: أوزان الشعر، ط3، المكتبة العصرية، الجزائر، 2007م.
21. درويش الجندي: ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده، دار النهضة، مصر، 1969م.
22. رابح بوحوش: البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
23. زبيير درّاقى: المستقصي في الأدب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

24. زكي مبارك:

- المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، لبنان.

- الموازنة بين الشعراء، ط1، دار الجيل، لبنان، 1993م.

26. سامي الدّهان: المديح، ط5، دار المعارف، مصر.

27. سحر سليمان خليل: تاريخ الأدب العربي القديم، ط1، دار البداية، الأردن، 2011م.

28. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم: إسلاميات أحمد شوقي، مطابع أهرام الجيزة الكبرى، مصر.

29. سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة:

عبد الواحد لؤلؤة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2001م.

30. سيّد سابق: فقه السنّة، ط1، دار الفكر، لبنان، 2006م.

31. سيّد قطب: النّقد الأدبي - أصوله ومناهجه-، دار الشروق، لبنان، 1980م.

32. شوقي ضيف:

- شوقي شاعر العصر الحديث، دار المعارف، مصر.

- البلاغة تطوّر وتاريخ، ط6، دار المعارف، مصر، 1995م.

- عصر الدّول والإمارات، ط2، دار المعارف، مصر.

- الأدب العربي المعاصر في مصر، ط8، دار المعارف، مصر.

36. صفى الدّين الحلّي: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ديوان

المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989م.

37. صلاح يوسف عبد القادر: في العروض والإيقاع الشعري، ط1، مطبعة الأيّام،

الجزائر، 1997م.

38. عبّاس حسن: المتنبي وشوقي-دراسة ونقد وموازنة-، ط1، مطبعة مصطفى البابي

الحلبي، مصر، 1951م.

39. عبد الرَّحمن خليل إبراهيم: دور الشَّعر في معركة الدعوة الإسلاميَّة، الشركة الوطنية، الجزائر، 1971م.
40. عبد العاطي شلبي: دراسات في فنون الأدب الحديث، ط1، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2005م.
41. عبد الله الركيبي: الشَّعر الديني الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر.
42. عبد المجيد الحر: أحمد شوقي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996م.
43. عبد المنعم خفاجي: التَّصوِّف في الإسلام وأعلامه، ط1، دار الوفاء، مصر، 2002م.
44. عز الدين اسماعيل: آفاق الشَّعر العربي الحديث والمعاصر في مصر، دار غريب، مصر، 2003م.
45. علي أبوزيد: البديعيَّات في الأدب العربي، ط1، عالم الكتب، لبنان، 1983م.
46. علي بن أحمد الجرجاني: التَّعريفات، مكتبة لبنان، لبنان، 1985م.
47. علي نجيب عطوي: البوصيري شاعر المدائح النَّبوية وعلمها، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1995م.
48. ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط ومحمود أرناؤوط، دار ابن كثير، سوريا، 1986م.
49. عمر الدسوقي: في الأدب الحديث، دار الفكر، مصر.
50. عمر فروخ: معالم الأدب العربي في العصر الحديث، ط1، دار العلم، لبنان، 1985م.
51. عيسى إبراهيم السَّعدي: جماليَّات الشَّعر العربي على مر العصور، ط1، دار المُعْتز، الأردن، 2009م.
52. محمَّد أحمد درنيقة: معجم أعلام شعراء المدح النَّبوي، دار الهلال، لبنان، 2003م.

53. محمّد الصّادق عفيفي: النّقد التّطبيقي والموازنات، مكتبة الخانجي، مصر، 1978م.
54. محمّد الهادي الطرابلسي: ثقافة التلاقي في أدب شوقي، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010م.
55. محمّد بن جرير الطّبري: تاريخ الطّبري-تاريخ الأمم والملوك-، ط1، دار صادر، لبنان، 2003م.
56. محمّد بن جميل زينو: قطوف من الشّمائل المحمّدية، ط3، دار الشّهاب، الجزائر.
57. محمّد بن عبد الوهّاب وعبد الله بن عبد الوهّاب: مختصر سيرة الرّسول صلى الله عليه وسلّم، دار الفكر، السعودية، 1376هـ.
58. محمّد بن عيسى الترميذي: مختصر الشّمائل المحمّدية، المكتبة الإسلاميّة، الأردن، 1971م.
59. محمّد بوزواوي: موسوعة شعراء العرب، دار هومة، الجزائر، 2010م.
60. محمّد رضا: محمّد صلى الله عليه وسلّم، ط1، دار صبح، لبنان، 2007م.
61. محمّد زغلول سلام: الأدب في العصر الأيوبي، دار المعارف، مصر، 2008م.
62. محمّد زكي العمشاوي: أعلام الأدب العربي الحديث، دار المعرفة، مصر، 2005م.
63. محمّد سعيد السّبّاعي: أفضل القربات إلى الله بالصّلاة على رسول الله، سوريا، 1959م.
64. محمّد شلبي: شرح الهمزيّة في مدح خير البريّة صلى الله عليه وسلّم، مكتبة الآداب، مصر، 1998م.
65. محمّد عبد الرّحمن الشّامخ: البحث عن أدب حديث " يُصلح الأرض العربيّة ولا يُفسد فيها"، مؤسّسة الإمامة الصّحفيّة، السعودية، 1998م.
66. محمّد عبد العزيز الخولي: الأدب النّبوي، ط4، دار المعرفة، لبنان، 2002م.

67. محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، لبنان.

68. محمد عزّام: النصّ الغائب - تجلّيات التّناص في الشّعر العربي -، اتحاد كُتاب العرب، سوريا، 2001م.

69. محمود رزق سليم: الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، دار الكتاب العربي، مصر، 1957م.

70. محمود عليّ مكّي: المدائح النبويّة، ط1، الشركة المصرية العالميّة، مصر، 1991م.

71. مصطفى السّباعي: السّيرة النبويّة - دروس وعبر -، ط2، دار الزّهراء، الجزائر، 1993م.

72. مُنير سلّطان: البديع في شعر شوقي، منشأة المعارف، مصر، 1986م.

73. نزار قبّاني: الشّعر قنديل أخضر، ط1، منشورات نزار قبّاني، لبنان، 1984م.

74. يوسف النّبّهاني: المجموعة النّبّهانية في المدائح النبوية، دار الكتب القطرية، قطر، 1320م.

* الدّواوين:

75. ابن الصّبّاغ الجذامي: الدّيوان، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2003م.

76. ابن الفارض: الدّيوان، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1990م.

* المعاجم:

- المعاجم العربية:

77. مجمع اللّغة العربيّة: المُعجم الوسيط، ط2، مطابع دار المعارف، مصر، 1973م

78. ابن منظور: لسان العرب، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م.

- المعاجم الأجنبيّة:

79.رينهارت دوزي: أسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، ط1، الدار العربية للموسوعات، مصر، 2011م.

***المجّلات:**

80. أبولو، مصر، العدد 4، ديسمبر، 1932م.

81.عالم المعرفة، الكويت، العدد 66، 1978م

82. مجلة الجامعة الإسلاميّة، فلسطين، العدد 2، 2007م.

***الرّسائل الجامعية:**

83.بوشاللق حكيمة: بُردة البوصيري -دراسة أسلوبية-، ماجستير، كلية الآداب والعلوم

الاجتماعية، قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2009-2010م.

84.محمد شحّادة تيم: الاتجاه الإسلامي عند الشعراء الفلسطينيين، ماجستير، كلية اللّغة

العربيّة، قسم الدّراسات العليا، جامعة أم القرى، السّعوديّة، 1988م.



قصيدة البردة

أَمِنْ تَذَكَّرِ جِيرَانَ بِنْدِي سَلَمَ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ
فَمَا لِعَيْنِيكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفَأَ هَمَاتَا
أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحَبَّ مُنْكَتَمٌ
لَوْلَا الْهُوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ
فَكَيْفَ تُتَكَبَّرُ حُبًّا بَعْدَمَا شَهَدْتَ
وَأَثَبْتَ الْوَجْدُ خَطِيءَ عِبْرَةٍ وَضَنَى
نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مَنِ أَهْوَى فَأَرْقَنِي
يَا لَائِمِي فِي الْهُوَى الْعُدْرِيَّ مَعْذَرَةً
عَدَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَنْتَرٍ
مَحْضَنْتَنِي النَّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنِّي أَتَهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلِي
فَأَنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَطَّتْ
وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ
مَنْ لِي بَرْدٌ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا
فَلَا تَرُمُ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا
وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تَهْمَلَهُ شَبَّ عَلَى
فَاصْرَفِ هَوَاهَا وَحَازِرِ أَنْ تَوْلِيَهُ
وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ
كَمْ حَسَّنْتَ لَذَّةَ الْمَرْءِ قَائِلَةً
وَإِخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جَوْعٍ وَمِنْ شَيْعٍ
وَاسْتَفْرِغِ الدَّمَاعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ
وَخَالَفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِمَهُمَا

مَرَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةِ بَدَمٍ
وَأَوْمَضَ الْبَرَقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفَقَ يَهُمٌ
مَا بَيْنَ مَنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ
وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ
بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمَاعِ وَالسَّقَمِ
مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَنَمِ
وَالْحُبِّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ
مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلَمِ
عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمِ
إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُذَالِ فِي صَمَمِ
وَالشَّيْبِ أَبْعَدُ فِي نَصْحِ عَنِ التُّهَمِ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
ضَيْفِ أَلَمٍ بِرَأْسِي غَيْرِ مُحْتَشِمِ
كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لِي مِنْهُ بِالْكَتَمِ
كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجَمِ
إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ
حُبُّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّمَهُ يَنْفَطِمِ
إِنَّ الْهُوَى مَا تَوَلَّى يُصْنَمُ أَوْ يَصِمِ
وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرَعَى فَلَا تُسِمِ
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرُّ مِنْ التُّخَمِ
مِنْ الْمَحَارِمِ وَالزَّمِّ حَمِيَّةَ النَّدَمِ
وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصْحَ فَاتَّهَمِ

وَلَا تُطْعُ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا
 ظَلَمْتَ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى
 وَشَدَّ مِنْ سَغَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى
 وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمَّ مِنْ ذَهَبٍ
 وَأَكَدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ
 مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ
 نَبِيُّنَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ
 هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرَجَى شَفَاعَتُهُ
 دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
 فِإِقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
 وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُتَمَسِّسٌ
 وَوَأَقْفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَذِّهِمْ
 فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
 مُنَزَّهٌ عَنِ شَرِيكِ فِي مَحَاسِنِهِ
 دَعَا مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ
 وَانْسَبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شَتَّتَ مِنْ شَرَفٍ
 فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ
 لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا
 لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَعَيَا الْعُقُولُ بِهِ
 أَعْيَا الْوَرَى فَهَمُّ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى
 كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ
 وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
 فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
 وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرَّسُولَ الْكِرَامُ بِهَا
 فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضْلٌ هُمْ كَوَاكِبُهَا
 أَكْرَمُ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٌ

فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكْمِ
 أَنْ اشْتَكْتَ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمٍ
 تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الْأَدَمِ
 عَنِ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمٍ
 إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ
 وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
 أَبْرُ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمٍ
 لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمٍ
 مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْفَصِمٍ
 وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
 غَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيْمِ
 مِنْ نَقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحَكْمِ
 ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِيءًا النَّسَمِ
 فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ
 وَاحْكُمْ بِمَا شَتَّتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكَمِ
 وَانْسَبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شَتَّتَ مِنْ عِظَمِ
 حَذُّ فَيَعْرِبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ
 أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمِّ
 حَرِصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهَمِ
 فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَجِمِ
 صَغِيرَةً وَتُكَلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ
 قَوْمٍ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلْمِ
 وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُؤُلُومِهِمْ
 فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
 يُظْهِرُنْ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلْمِ
 بِالْحُسْنِ مِشْتَمَلٌ بِالْبِشْرِ مُتَسِمِ

كالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ
 كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلالَتِهِ
 كَأَنَّما اللُّؤلُؤُ المَكْنُونُ فِي صَدَفٍ
 لا طيبَ يَعْدِلُ تُرباً ضَمَّ أعْظَمُهُ
 أبانَ مولِدُهُ عن طيبِ عَنصرِهِ
 يَوْمَ تَفَرَّسَ فِيهِ الفُرسُ أَنَّهُمُ
 وَباتَ أَيوانُ كِسرَى وَهُوَ مُنْصدِعُ
 وَالنارُ خامِدَةٌ الأَنْفاسِ مِنْ أَسْفٍ
 وَساءَ ساوَةٌ أَنْ غاضَتْ بِحيرَتِها
 كَأَنَّ بالنارِ ما بالماءِ مِنْ بَلَلٍ
 وَالجِنُّ تَهْتَفُ وَالأَنْوارُ ساطِعَةٌ
 عَمُوا وَصَمُّوا فإِعلانُ البِشائِرِ لَمْ
 مِنْ بَعْدِ ما أَخْبَرَ الأَقْوامَ كاهِنُهُمُ
 وَبَعْدِ ما عابَنُوا فِي الأُفقِ مِنْ شُهْبٍ
 حَتى غَدَا عن طَريقِ الوَحى مُنْهَزِمٌ
 كَأَنَّهُمُ هَرَبَوا أَبْطالُ أبرَهَةَ
 نَبَذَها بَعْدَ تَسبيحِ بِيْطَنِهِما
 جَاءتْ لِدَعوَتِهِ الأشْجارُ ساجِدَةً
 كَأَنَّما سَطَرَتْ سَطَرا لِمَا كَتَبَتْ
 مِثْلَ الغَمامَةِ أَنى سارَ سائِرَةٌ
 وَما حوى الغارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
 فَالصدِّقُ فِي الغارِ وَالصدِّيقُ لَمْ

يَرْمَا

ظَنُّوا الحِمامَةَ وَظَنُّوا العَنكبوتَ عَلى
 وَفِقايةُ اللهِ أَغْنَتْ عَن مُضاعِفَةٍ
 ما سامَنى الذَّهْرُ ضِميماً وَاسْتَجَرَتْ بِهِ

وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمٍ
 فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلقاهُ وَفِي حَشَمٍ
 مِنْ مَعَدِنِي مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمِبتَسَمٍ
 طوبى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَما لَنْتَمُ
 يا طيبَ مُبتَدِئاً مِنْهُ وَمُختَمٍ
 قَد أَنْذِرُوا بِحُلُولِ البُؤسِ وَالنِّقَمِ
 كَشَمَلِ أَصْحابِ كِسرَى غَيرَ مَلْتَمِ
 عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ ساهي العَينِ مِنْ سَدَمٍ
 وَرَدَّ وَارِدُها بِالغَياطِ حِينَ ظَمي
 حُزْناً وَبالماءِ ما بالنارِ مِنْ ضَرَمٍ
 وَالحقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعنى وَمِنْ كَلِمٍ
 تُسْمَعُ وَبِبارِقَةِ الإِنْذارِ لَمْ تُشَمِ
 بِأَنَّ دِينَهُمُ المَعْوجُ لَمْ يَقُمْ
 مُنْقَضَةً وَفَقَ ما فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمٍ
 مِنْ الشَّياطِينِ يَقفُوا إِثْرَ مُنْهَزِمٍ
 أَوْ عَسْكَرُ بِالْحَصَى مِنْ راحَتِيهِ رُمي
 نَبَذَ المُسَبِّحِ مِنْ أَحْشاءِ مَلتَمٍ
 تَمشي إِلَيهِ عَلى ساقِ بِلادِمٍ
 فُرُوعُها مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ فِي اللِّقَمِ
 تَقِيهِ حَرٌّ وَطَيْسٌ لِلهَجِيرِ حَمي
 وَكُلُّ طَرفٍ مِنَ الكَفارِ عَمي
 وَهُمُ يَقولونَ ما بالغارِ مِنْ أَرَمٍ

خَيْرِ البَرِّيَّةِ لَمْ تَتَسَجَّ وَلم تَحْمُ
 مِنَ الدُّرُوعِ وَعن عَالي مِنَ الأَطْمِ
 إِلا وَنِلتُ جِواراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

إلا استلمت الندى من خيرٍ مُستلمٍ
 قلباً إذا نامت العينان لم ينم
 فليس ينكرُ فيه حالٌ مُحتملٌ
 ولا نبيُّ على غيبٍ بمُتهمٍ
 وأطلقتُ أرباباً من ربقةِ اللَمَمِ
 حتى حَكَتْ غُرَّةً في الأعصرِ الدُّهَمِ
 سائبٌ من اليمِّ أو سائلٌ من العرمِ
 ظهورَ نارِ القرى ليلاً على علمٍ
 وليس ينقصُ قدرًا غيرَ مُنتظمٍ
 ما فيه من كرمِ الأخلاقِ والشيمِ
 قديمةٌ صفةٌ الموصوفِ بالقدمِ
 عن المعادِ وعن عادٍ وعن إرمِ
 من النبيين إذ جاءت ولم تدمِ
 لذي شقاقٍ وما تبغين من حكمِ
 أعدى الأعداي إليها مُلقى السَلَمِ
 ردَّ الغيورِ يدَ الجاني عن الحرمِ
 وفوقَ جوهره في الحسنِ والقيمِ
 ولا تُسامُ على الاكثارِ بالسَّامِ
 لقد ظفرت بحبلِ الله فاعتصمِ
 من العصاة وقد جاؤوه كالحَمَمِ
 فالقسطُ من غيرها في الناسٍ لم يقمِ
 تجاهلاً وهو عينُ الحاذقِ الفهمِ
 ويُكرُّ الفمَ طعمَ الماءِ من سَقَمِ
 سعيًا وفوقَ مُتونِ الأيُّقِ الرُّسَمِ
 ومن هو النعمةُ العظمى لمُغتَمِ
 كما سرى البدرُ في داجٍ من الظلمِ

ولا التمسْتُ غنى الدارينِ من يدهِ
 لا تُتكرَّرِ الوحيَ من رؤياهِ إنَّ لهِ
 وذلك حينَ بلوغِ من نُبوتِه
 تباركَ اللهُ ما وحيُّ بمُكتسبِ
 كم أُنزأتُ وصيباً باللمسِ راحتُه
 وأحييت السنةَ الشَّهباءِ دعوتُه
 بعارضٍ جادٍ أو خلتَ البطاحَ بها
 دعني ووصفي آياتٍ له ظهرتُ
 فالدرُّ يزدادُ حسناً وهو مُنتظمُ
 فما تطاولُ آمالِ المديحِ الى
 آياتِ حقٍّ من الرحمنِ مُحدثُه
 لم تقترنِ بزمانٍ وهي تُخبرُنَا
 دامت لدينا ففاقت كلَّ معجزةِ
 مُحكماتٍ فما تُبقين من شبهِ
 ما حوربت قطُّ الا عادَ من حربِ
 ردَّت بلاغتها دعوى معارضِها
 لها معانٍ كموجِ البحرِ في مددِ
 فما تُعدُّ ولا تُحصي عجائبُها
 قرَّت بها عينُ قاريها فقلتُ لهِ
 كأنها الحوضُ تبيضُ الوجوهَ بهِ
 وكالصراطِ وكالميزانِ معدلةُ
 لا تعجبنِ لحسودٍ راح يُنكرُها
 قد تُتكرَّرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رمَدِ
 يا خيرَ من يممَ العافونَ ساحتُه
 ومن هو الآيةُ الكبرى لمُعْتَبِرِ
 سريت من حرمٍ ليلاً الى حرمِ

وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
 وَقَدَّمْتِكُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا
 وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ
 حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَأوًا لِمُسْتَبِقٍ
 خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ
 كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلِ أَيِّ مُسْتَبِرٍ
 فَحُزَّتْ كُلُّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ
 وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
 بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ إِنْ لَنَا
 لِمَا دَعَى اللَّهُ دَاعِينَا لَطَاعَتِهِ
 رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءُ بَعَثَتْهُ
 مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ
 وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغِيبُونَ بِهِ
 تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا
 كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ
 يَجْرُ بِحَرِّ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ
 مِنْ كُلِّ مَنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ
 حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ
 مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ
 هُمْ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمُهُمْ
 وَسَلَّ حُنَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا
 الْمُصَدْرِي الْبَيْضِ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ
 وَالكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ
 شَاكِي السَّلَاحِ لَهُمْ سِيْمَى تُمَيِّزُهُمْ
 تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاخَ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ
 كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبَتْ رُبًّا

مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرَمِ
 وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
 فِي مَوَكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ
 مِنَ السُّدُونِ وَلَا مَرْقَى لِمُسْتَبِقِ
 نُودِيَتْ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ
 عَنِ الْعِيُونَ وَسِرًّا أَيُّ مَكْتَبِ
 وَجُزَّتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ
 وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيَتْ مِنْ نِعَمِ
 مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مِنْهَدِمِ
 بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ
 كَنْبَاءَةً أَجْفَلَتْ غُفْلًا مِنَ الْغَنَمِ
 حَتَّى حَكَّوْا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ
 أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعُقْبَانِ وَالرَّخَمِ
 مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لِيَالِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ
 بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرْمِ
 يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مَلْتَطِمِ
 يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُصْطَلِمِ
 مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ
 وَخَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَيَّبْتُمْ وَلَمْ تَتِمِ
 مَاذَا لَقِيَ مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ
 فُصُولُ حَنْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الْوَحْمِ
 مِنَ الْعِدَا كُلِّ مُسَوِّدٍ مِنَ اللَّمَمِ
 أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ
 وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيْمَى عَنِ السَّلَمِ
 فَتَحْسِبُ الزَّهْرَ فِي الْأَكْمَامِ كُلِّ كَمِي
 مِنْ شَدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شَدَّةِ الْحَزْمِ

طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا
 وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نَصْرَتَهُ
 وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيِّيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ
 أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مَلَّتِهِ
 كَمْ جَدَلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ
 كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةً
 خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِ أُسْتَقِيلِ بِهِ
 إِذْ قَلَّدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ
 أَطَعْتُ غِيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا
 فِيهَا خَسَارَةٌ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا
 وَمَنْ يَبِيعَ أَجَلًا مِنْهُ بِعَاجِلِهِ
 إِنْ آتَى ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ
 فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي
 إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي أَخِذًا بِيَدِي
 حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ
 وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ
 وَلَنْ يَقُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدًا تَرَبَّتْ
 وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَنَطَفَتْ
 يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ
 وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي
 يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
 لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
 يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
 وَالطُّفَّ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنْ لَأَهُ
 وَائِذْنُ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ
 مَا رَنَحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانَ رِيحُ صَبَا

فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبُهْمِ وَالْبُهْمِ
 إِنْ نَلَقَهُ الْأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمُ
 بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْعَجِمٍ
 كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجَمٍ
 فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانَ مِنْ خَصِمٍ
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبَ فِي الْيَتَمِ
 ذُنُوبَ عُمُرٍ مَضَى فِي الشُّعْرِ وَالْخِذَمِ
 كَأَنِّي بِهِمَا هَدَيْتُ مِنَ النِّعَمِ
 حَصَلَتْ أَلَى الْأَثَامِ وَالنَّدَمِ
 لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ
 بَيْنَ لَهُ الْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمٍ
 مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرَمٍ
 مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذَّمِّ
 فَضْلًا وَالْأَفْقَلُ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ
 أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ
 وَجَدْتُهُ لَخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَزِمٍ
 إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكَمِ
 يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَتَى عَلَى هَرَمٍ
 سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِيمِ
 إِذَا الْكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمٍ
 إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ
 تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسْمِ
 لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرَمٍ
 صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ
 عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ
 وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالنَّغَمِ

نهج البردة

ريمٌ على القاع بين البانِ والعلمِ
رمى القضاء بعيني جودرٍ أسداً
لما رنا حدثتني النفسُ قاتلةً
جدته، وكتمت السهمَ في كبدي
رزقتَ أسمح ما في الناس من خلقٍ
يا لآمي في هواه - والهوى قدرٌ -
لقد أنلتك أدنا غير واعيةٍ
يا ناعس الطرفِ؛ لاذقتَ الهوى أبداً
أفديك إلفاً، ولا آلو الخيالِ فدي
سرى، فصادف جرحاً دامي، فأسا
من الموائسُ باناً بالرُبي وقتاً
السافراتُ كأمثالِ البُدورِ ضحى
القاتلاتُ بأجفانٍ بها سقمٌ
العائثاتُ بأبوابِ الرجالِ، وما
المضرماتُ خُدوداً، أسفرت، وجلتُ
الحاملاتُ لواءَ الحسنِ مختلفاً
من كلِّ بيضاءٍ أو سمراءٍ زِينتاً
يُرعنَ للبصرِ السامي، ومن عجبٍ
وضعتُ خدي، وقسمتُ الفؤادَ ربي
يا بنتِ ذي اللبِّدِ المحميِّ جانبِهِ
ما كنتُ أعلمُ حتى عن مسكنِهِ
من أنبت الغصنَ من صمصامةٍ ذكرٍ؟
بيني وبينك من سمرِ القنا حُجبٍ
لم أعش مغناك إلا في غضونِ كرى
يا نفسُ، دنياك تُخفي كلَّ مبيكةٍ
فُضِّي بتقواك فاهًا كلما ضحكتُ

أحلَّ سفكَ دمي في الأشهرِ الحُرْمِ
يا ساكنَ القاعِ، أدركَ ساكنَ الأجمِ
يا ويحَ جنبك، بالسهمِ المُصيبِ رُمي
جُرْحُ الأحبةِ عندي غيرُ ذي ألمِ
إذا رُزقتَ التماسَ العذْرِ في الشيمِ
لو شفكَ الوجدُ لم تعذل ولم تلمِ
وربَّ منتصتٍ والقلبُ في صممِ
أسهرتَ مَظناك في حفظِ الهوى، فتمِ
أغراك بالبخلِ من أغراه بالكرمِ
وربَّ فضلٍ على العشاقِ للحلمِ
اللاعباتُ بروحي، السافحاتُ دمي؟
يُغرِنَ شمسَ الضحى بالحليِّ والعصمِ
وللمنيةِ أسبابٌ من السقمِ
أقلنَ من عثراتِ الدلِّ في الرسمِ
عن فتنةٍ، تسلِّمُ الأكبادَ للضرمِ
أشكاله، وهو فردٌ غير منقسمِ
للعينِ، والحسنُ في الآرامِ كالعصمِ
إذا أشرنَ أسرنَ الليثُ بالعمِ
يرتعنَ في كُنسٍ منه وفي أكمِ
ألقاكِ في الغابِ، أم ألقاكِ في الأطمِ؟
أن المنى والمنايا مضربُ الخيمِ
وأخرج الريمَ من ضِرغامَةِ قرمِ؟
ومثلها عفةٌ عذريَّةُ العصمِ
مغناك أبعُدُ للمشتاقِ من إرمِ
وإن بدا لك منها حسنٌ مُبتسمِ
كما يُفضُّ أذى الرقشاءِ بالثرَمِ

مخطوبةً - منذُ كانَ الناسُ - خاطبةً
يَفنى الزَّمانُ، ويبقى من إساءَتِها
لا تحفلي بجناه، أو جنايتها
كم نائمٍ لا يراه، وهي ساهرةٌ
طوراً تمدك في نَعْمى وعافيةٍ
كم ضللتك، ومَن تُحجِبُ بصيرتهُ
يا ويلتاهُ لنفسِي! راعها ودها
ركضتُها في مَرِيعِ المعصياتِ، وما
هامت على أثرِ اللذاتِ تطلبُها
صلاحُ أمركِ للأخلاقِ مرجعُه
والنفسُ من خيرها في خيرِ عافيةٍ
تطغى إذا مكنت من لذَّةٍ وهوى
إنَّ جَلَّ ذنبي عن العُفْرانِ لي أملٌ
ألقي رجائي إذا عزَّ المُجيرُ على
إذا خففتُ جَاحَ الذلِّ أسألهُ
وإنَّ تقدِّمَ ذو تقوى بصالحةٍ
لزمْتُ بابَ أميرِ الأنبياءِ، ومَن
فكُلُّ فضلٍ، وإحسانٍ، وعارفةٍ
علقتُ من مدحه حبلًا أعزُّ به
يُزري قريضي زهيرًا حينَ أمدحه
محمدٌ صفةُ الباري، ورحمتهُ
وصاحبُ الحوضِ يومَ الرُّسُلِ سائلةٌ
سناؤه وسناهُ الشمسُ طالعةٌ
قد أخطأ النجمُ ما نالت أبوتُه
نموا إليه، فزادوا في الورى شرفًا
حواه في سُبُحاتِ الطُّهرِ قبلهم
لما رآه بحيرا قال: نعرفُه

من أولِ الدهرِ لم تُرْمَلِ، ولم تنمِ
جرحُ بآدمِ يبكي منه في الأدمِ
الموتُ بالزَّهرِ مثلُ الموتِ بالفحمِ
لولا الأمانِي والأحلامُ لم ينمِ
وتارةً في قرارِ البؤسِ والوصمِ
إن يلقَ صابا يرد، أو علقما يسمِ
مُسودَّةُ الصُّحفِ في مبيضةِ اللَّمَمِ
أخذتُ من حميةِ الطاعاتِ للثَّخَمِ
والنفسُ إن يدعُها داعي الصِّباتِ تهمِ
فقومُ النفسِ بالأخلاقِ تستقمِ
والنفسُ من شرها في مرتعٍ وخمِ
طغى الجيادِ إذا عضَّت على الشُّكْمِ
في الله يجعلني في خيرٍ مُعتصمِ
مُفرِّجِ الكربِ في الدارينِ والغمِ
عزَّ الشفاعةِ؛ لم أسألُ سوى أَمِّ
قدمتُ بين يديه عبْرَةَ النَّدَمِ
يُمسِكُ بمفتاحِ بابِ الله يغتيمِ
ما بين مستلمٍ منه ومُلتزمِ
في يومٍ لا عزَّ بالأسبابِ واللُّحمِ
ولا يقاسُ إلى جودي لدى هَرَمِ
وبغيةُ الله من خَلقٍ ومن نَسَمِ
متى الورودُ؟ وجبريلُ الأمينُ ظمي
فالجِرمُ في فلكِ، والضوءُ في عَلمِ
من سؤددٍ باذخٍ في مظهرِ سَمِ
وربَّ أصلٍ لفرعٍ في الفخارِ نَمِ
نورانِ قاما مقامِ الصُّلبِ والرَّجمِ
بما حفظنا من الأسماءِ والسِّيمِ

مَصُونٍ سِرًّا عَنِ الْإِدْرَاكِ مُنْكَتِمٍ؟
بَطْحَاءُ مَكَّةَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالغَسَمِ
أَشْهَى مِنَ الْأَنْسِ بِالْأَحْبَابِ وَالْحَشَمِ
وَمَنْ يَبِشِّرُ بِسَيِّمَى الْخَيْرِ يَتَّسِمِ
فَاضَتْ يَدَاهُ مِنَ التَّسْنِيمِ بِالسَّنَمِ
غَامَةٌ جَذَبَتْهَا خَيْرَةُ الدَّيَمِ
قَعَائِدُ الدَّيْرِ، وَالرُّهْبَانُ فِي الْقِمَمِ
يُغْرَى الْجَمَادُ، وَيُغْرَى كُلُّ ذِي نَسَمِ
لَمْ تَتَّصِلْ قَبْلَ مَنْ قِيلَتْ لَهُ بِفَمِ
أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَّةِ النَّعَمِ
وَكَيْفَ نَفَرْتَهَا فِي السَّهْلِ وَالْعَلَمِ؟
رَمَى الْمَشَايِخَ وَالْوَالِدَانَ بِاللَّمَمِ
هَلْ تَجْهَلُونَ مَكَانَ الصَّادِقِ الْعَلَمِ؟
وَمَا الْأَمِينُ عَلَى قَوْلِ بَمْتَهُمِ
بِالْخُلُقِ وَالْخُلُقِ مِنْ حَسَنٍ وَمِنْ عِظَمِ
وَجِئْنَا بِحَكِيمٍ غَيْرِ مُنْصَرَمِ
يَزِينُهُنَّ جَلَالَ الْعَتَقِ وَالْقَدَمِ
يُوصِيكَ بِالْحَقِّ، وَالتَّقْوَى، وَبِالرَّحْمِ
حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهْمِ
فِي كُلِّ مُنْتَثِرٍ فِي حَسَنِ مُنْتَمِ
تُحْيِي الْقُلُوبَ، وَتُحْيِي مَيِّتَ الْهَمِّ
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَسْرَى النُّورِ فِي الظُّلَمِ
وَطَيَّرَتْ أَنْفُسَ الْبَاغِينَ مِنْ عَجَمِ
مِنْ صَدْمَةِ الْحَقِّ، لَا مِنْ صَدْمَةِ الْقَدَمِ
إِلَّا عَلَى صَنَمِ، قَدْ هَامَ فِي صَنَمِ
لِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الْخَلْقِ مُحْتَكِمِ
وَقِيصِرُ الرُّومِ مِنْ كِبَرِ أَصْمُ عَمِ

سائلُ حِرَاءِ، وَرُوحِ الْقَدْسِ: هَلْ عِلْمَا
كَمْ جِيئَةً وَذَهَابَ شُرْفَتَ بَهْمَا
وَوَحْشَةَ لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَيْنَهُمَا
يُسَامِرُ الْوَحْيَ فِيهَا قَبْلَ مَهْبِطِهِ
لَمَا دَعَا الصَّحْبُ يَسْتَسْقُونَ مِنْ ظَمَا
وَوَلَّاتَهُ، فَصَارَتْ تَسْتَظِلُّ بِهِ
مَحَبَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ أَشْرَبَهَا
إِنَّ الشَّمَائِلَ إِنْ رَقَّتْ يَكَادُ بِهَا
وَنُودِي: اقْرَأْ تَعَالَى اللَّهُ قَائِلُهَا
هَنَّاكَ أَذْنَ لِلرَّحْمَنِ، فَامْتَلَأَتْ
فَلَا تَسَلْ عَنِ قَرِيشٍ كَيْفَ حَيْرَتُهُ؟
تَسَاءَلُوا عَنِ عَظِيمٍ قَدْ أَلَمَ بِهِمْ
يَا جَاهِلِينَ عَلَى الْهَادِي وَدَعْوَتِهِ
لَقَبْتُمُوهُ أَمِينَ الْقَوْمِ فِي صِغَرِ
فَاقِ الْبَدُورِ، وَفَاقِ الْأَنْبِيَاءِ، فَكَمْ
جَاءَ النَّبِيُّونَ بِالْآيَاتِ، فَانصَرَمَتْ
آيَاتُهُ كَلَّمَا طَالَ الْمَدَى جُدُدُ
يَكَادُ فِي لَفْظَةٍ مِنْهُ مَشْرَفَةٌ
يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِينَ الضَّادَ قَاطِبَةً
حَلَيْتَ مَنْ عَطَلَ جَيْدَ الْبَيَانِ بِهِ
بِكُلِّ قَوْلٍ كَرِيمٍ أَنْتَ قَائِلُهُ
سَرَّتْ بِشَائِرٍ بِالْهَادِي وَمَوْلِدِهِ
تَخَطَّفَتْ مَهْجَ الطَّاغِينَ مِنْ عَرَبِ
رَبِعَتْ لَهَا شُرْفُ الْإِبْوَانِ، فَانصَدَعَتْ
أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضَى لَا تَمَرُّ بِهِمْ
وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جُورًا، مُسَخَّرَةٌ
مُسَيِّطِرُ الْفَرَسِ يَبْغَى فِي رَعِيَّتِهِ

يُعَذِّبَانِ عِبَادَ اللَّهِ فِي شُبِّهِ
وَالْخَلْقُ يُفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأَضْعُفِهِمْ
أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا، إِذْ مَلَائِكَهُ
لَمَّا خَطَرْتَ بِهِ التَّفُؤَا بِسَيِّدِهِمْ
صَلَى وَرَاعَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ
جُبَّتِ السَّمَاوَاتُ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ
رَكُوبَةٌ لَكَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ
مِثْلِيَّةُ الْخَالِقِ الْبَارِي، وَصَنَعْتُهُ
حَتَّى بَلَغْتَ سَمَاءَ لَا يُطَارُ لَهَا
وَقِيلَ: كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رَتْبَتِهِ
خَطَطَتْ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا عِلْمَهُمَا
أَحَطَّتْ بَيْنَهُمَا بِالسَّرِّ، وَانْكَشَفَتْ
وَضَاعَفَ الْقُرْبُ مَا قُلِدَتْ مِنْ مَنْ
سَلَّ عَصَبَةَ الشَّرِكِ حَوْلَ الْغَارِ سَائِمَةً
هَلْ أَبْصَرُوا الْأَثَرَ الْوَضَاءَ، أَمْ سَمِعُوا
وَهَلْ تَمَثَّلَ نَسِجُ الْعَنْكَبُوتِ لَهُمْ
فَأَدْبَرُوا، وَوَجَّوهُ الْأَرْضِ تَلْعَنُهُمْ
لَوْلَا يَدُ اللَّهِ بِالْجَارِينَ مَا سَلِمَا
تَوَارِيَا بِجَنَاحِ اللَّهِ، وَاسْتَتَرَا
يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ، لِي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي
الْمَادِحُونَ وَأَرْبَابُ الْهَوَى تَبَعُ
مَدِيحُهُ فِيكَ حُبٌّ خَالِصٌ وَهَوَى
اللَّهِ يَشْهَدُ أَنِّي لَا أُعَارِضُهُ
وَإِنَّمَا أَنَا بَعْضُ الْغَابِطِينَ، وَمَنْ
هَذَا مَقَامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مُقْتَبَسٌ
الْبَدْرُ دُونَكَ فِي حُسْنٍ وَفِي شَرَفٍ
شَمُّ الْجِبَالِ إِذَا طَاوَلَتْهَا انْخَفَضَتْ
وَاللَّيْثُ دُونَكَ بِأَسَا عِنْدَ وَثْبَتِهِ
تَهْفُو إِلَيْكَ - وَإِنْ أَدْمَيْتَ حَبَّتَهَا

وَيَذْبَحَانِ كَمَا ضَحَّيْتَ بِالْغَنَمِ
كَاللَّيْثِ بِالْبَهْمِ، أَوْ كَالْحَوْتِ بِالْبَلَمِ
وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ
كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ، أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعَلَمِ
وَمَنْ يَفْزُ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتُمُّ
عَلَى مَنْوَرَةٍ دُرِّيَّةٍ اللَّجْمِ
لَا فِي الْجِيَادِ، وَلَا فِي الْأَيْتِقِ الرَّسْمِ
وَقَدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الشُّكِّ وَالتَّهْمِ
عَلَى جَنَاحٍ، وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمِ
وَيَا مُحَمَّدُ، هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ
يَا قَارِيَّ الْلَوْحِ، بَلِ يَا لَامِسَ الْقَلَمِ
لَكَ الْخَزَائِنُ مِنْ عِلْمٍ، وَمِنْ حِكْمِ
بِلَا عِدَادٍ، وَمَا طَوَّقَتْ مِنْ نَعْمِ
لَوْلَا مَطَارِدَةُ الْمُخْتَارِ لَمْ تُسَمِّ
هَمْسَ التَّسَابِيحِ وَالْقُرْآنِ مِنْ أُمَّمٍ؟
كَالْغَابِ، وَالْحَائِمَاتُ الزُّغْبُ كَالرَّخْمِ؟
كِبَاطِلٍ مِنْ جَلَالِ الْحَقِّ مِنْهَزِمِ
وَعَيْنُهُ حَوْلَ رُكْنِ الدِّينِ؛ لَمْ يَقُمْ
وَمَنْ يَضُمُّ جَنَاحَ اللَّهِ لَا يُضْمُ
وَكَيفَ لَا يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ سَمِي؟
لِصَاحِبِ السُّبْرَةِ الْفِيحَاءِ ذِي الْقَدَمِ
وَصَادِقِ الْحُبِّ يُمْلِي صَادِقَ الْكَلِمِ
مَنْ ذَا يَعَارِضُ صُوبَ الْعَارِضِ الْعَرَمِ؟
يَغْبِطُ وَلِيَّكَ لَا يُذَمُّ، وَلَا يَلْمُ
تَرْمِي مَهَابَتَهُ سَحْبَانَ بِالْبَكْمِ
وَالْبَحْرُ دُونَكَ فِي خَيْرٍ وَفِي كَرَمِ
وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ مَا وَاسَمَتْهَا تَسِيمِ
إِذَا مَشَيْتَ إِلَى شَاكِي السَّلَاحِ كَمِي
فِي الْحَرْبِ - أَفْنَدَةُ الْأَبْطَالِ وَالْبُهْمِ

محبتهُ الله ألقاه، وهيبته
كأن وجهك تحت النقع بدر دجى
بدر تطلع في بدر، فغرته
ذكرت باليتم في القرآن تكرمة
الله قسم بين الناس رزقهم
إن قلت في الأمر: "لا" أو قلت فيه: "نعم"
أخوك عيسى دعاً ميتاً، فقام له
والجهل موت، فإن أوتيت معجزة
قالوا: غزوت، ورسُل الله ما بعثوا
جهل، وتضليل أحلام، وسفسطة
لما أتى لك عفواً كل ذي حسب
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
سل المسيحية الغراء: كم شربت
طريدة الشرك، يؤذيه، ويوسعها
لولا حماة لها هبوا لنصرتها
لولا مكان لعيسى عند مرسله
لسمر البدن الطهر الشريف على
جل المسيح، وذاق الصلب شائنه
أخو النبي، وروح الله في نزل
علمتهم كل شيء يجهلون به
دعوتهم لجهاد فيه سوددهم
لولا له نر للدولت في زمن
تلك الشواهد تترى كل أونة
بالأمس مالت عروش، واعتلت سرر
أشياء عيسى أعدوا كل قاصمة
مهما دُعيت إلى الهبجاء قمت لها
على لوائك منهم كل منتقم
مُسبِح للقاء الله، مضطرم
لو صادف الدهر يبغى نقلة، فرمى
بيض، مفايل من فعل الحروب بهم
كم في التراب إذا فتشت عن رجل

على ابن آمنة في كل مُصطدم
يضيء مُلتئم، أو غير مُلتئم
كغرة النصر، تجلو داجي الظلم
وقيمة اللؤلؤ المكنون في اليتيم
وأنت خيرت في الأرزاق والقسم
فخيرة الله في "لا" منك أو "نعم"
وأنت أحييت أجيالاً من الرمم
فابعت من الجهل، أو فابعت من الرجم
لقتل نفس، ولا جاعوا لسفك دم
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
تكفل السيف بالجهال والعمم
ذرع، وإن تلقه بالشر ينحسم
بالصاب من شهوات الظالم الغم
في كل حين قتالاً ساطع الحدم
بالسيف؛ ما انتفعت بالرفق والرجم
وحرمة وجبت للروح في القدم
لوحين، لم يخش مؤذيه، ولم يجم
إن العقاب بقدر الذنب والجرم
فوق السماء ودون العرش مُحترم
حتى القتال وما فيه من الذمم
والحرب أس نظام الكون والأمم
ما طال من عمد، أو قر من دهم
في الأعصر الغر، لافي الأعصر الدهم
لولا القذائف لم تتلم، ولم تصم
ولم نعد سوى حالات منقصم
ترمي بأسد، ويرمي الله بالرجم
الله، مُستقتل في الله، مُعترم
شوق، على سابح كالبرق مضطرم
بعزمه في رجال الدهر لم يرم
من أسيف الله، لا الهديّة الخدم
من مات بالعهد، أو من مات بالقسم

لولا مواهبُ في بعضِ الأنامِ لما
شريعةٌ لك فجرت العقولُ بها
يلوحُ حولُ سنا التوحيدِ جوهرُها
غراءً، حامت عليها أنفسٌ، ونهَى
نورُ السبيلِ يساسِ العالمونَ بها
يجري الزمانُ وأحكامُ الزمانِ على
لما اعتلت دولة الإسلامِ واتسعت
وعلمت أمةً بالقفر نازلةً
كم شيد المصلحونَ العاملونَ بها
للعلمِ، والعدلِ، والتمدينِ ما عزموا
سرعان ما فتحوا الدنيا لملتهم
ساروا عليها هداةً الناسِ، فهي بهم
لا يهدمُ الدهرُ ركنًا شاد عدلهمُ
نالوا السعادةً في الدارينِ، واجتمعوا
دعُ عنك روم، وآئين، وما حوتا
وخل كسرى، وإيوانا يدلُ به
واتركُ رعمسيسَ، إن الملكَ مظهره
دارُ الشرائعِ روما كلما ذكرتُ
ما ضارعتها بيانًا عند ملتأم
ولا احتوت في طرازٍ من قياصرها
من الذين إذا سارت كتابهم
ويجلسون إلى علمٍ ومعرفةٍ
يطأطئ العلماءُ الهام إن نيسوا
ويمطرون، فما بالأرض من محلٍ
خالقُ الله جلوا عن موازنةٍ
من في البرية كالفاروق معدلة؟
وكالإمام إذا فضَّ مزدحمًا
الزاهر العذب في علم وفي أدبٍ
أو كابن عفان والقرآن في يده
ويجمع الآي ترتيبًا وينظمها
جرحان في كبد الإسلام ما التأمًا

تفاوت الناسُ في الأقدارِ والقيمِ
عن زاهرٍ بصنوفِ العلمِ ملتئمِ
كالحلي للسيفِ أو كالوشى للعلمِ
ومن يجدُ سلسلاً من حكمةٍ يحم
تكفلتُ بشبابِ الدهرِ والهرمِ
حكم له، نافذٍ في الخلقِ، مرتسمِ
مشت ممالكه في نورها التمم
رعي القياصرِ بعد الشاءِ والنعمِ
في الشرق والغرب ملكًا باذخ العظمِ
من الأمور، وما شدوا من الحزمِ
وأهلوا الناسَ من سلسالها الشبمِ
إلى الفلاحِ طريقٍ واضحِ العظمِ
وحائطُ البغي إن تلمسه ينهدمِ
على عيم من الرضوانِ مقتسمِ
كل اليواقيت في بغدادِ والتومِ
هوى على أثر النيرانِ والأيمِ
في نهضة العدل، لا في نهضة الهرمِ
دارُ السلام لها ألفت يد السلمِ
ولا حكتهها قضاءً عند مختصمِ
على رشيدٍ، ومأمونٍ، ومعتصمِ
تصرفوا بحدود الأرضِ والتخمِ
فلا يدانون في عقل ولا فهمِ
من هيبة العلم، لا من هيبة الحكمِ
ولا بمن بات فوق الأرض من عُدْمِ
فلا تقيسن أملاك الورى بهم
وكابن عبد العزيز الخاشع الحشم؟
بمدح في مآقي القوم مزدحمِ
والناصر النذب في حرب وفي سلم؟
يحنو عليه كما تحنو على الفطمِ
عقدًا بجيد الليالي غير منقصم؟
جرحُ الشهيد، وجرحُ الكتاب دمي

وما بلاءُ أبي بكرٍ بمتهم
بالحزم والعزم حاطَ الدين في محنٍ
وحِدْنِ بالراشدِ الفاروقِ عن رشدٍ
يجادلُ القومَ مُستتلاً مهنته
لا تعذِّلوه إذا طافَ الذهولُ به
يا ربِّ صلِّ وسلِّم ما أردتَ على
مُحبي الليالي صلاةً، لا يقطعُها
مسيباً لك جُنحَ الليل، محتملاً
رضيئةً نفسُه، لا تشتكي سأمًا
وصلِّ ربِّي على آلِ له نُخبٍ
بيضُ الوجوه، ووجهُ الدهرِ ذو حلكٍ
وأهد خيرَ صلاةٍ منك أربعةً
الراكبين إذا نادى النبيُّ بهم
الصابرين ونفسُ الأرضِ واجفةً
يا ربِّ، هبتِ شعوبٌ من منيتها
سعدٌ، ونحسٌ، ومُلكٌ أنت مالِكُه
رأى قضاؤك فينا رأيَ حكمته
فالطفُ لأجلِ رسولِ العالمين بنا
يا ربِّ، أحسنتَ بدءَ المسلمين به

بعد الجلائل في الأفعال والخِدم
أضلتَ الحلم من كهلٍ ومحتلمٍ
في الموت، وهو يقينٌ غيرِ منبهمٍ
في أعظمِ الرسلِ قدرٌ، كيف لم يدم؟
مات الحبيبُ، فضلَ الصبُّ عن رغمٍ
نزِيلِ عرشِك خيرِ الرسلِ كلِّهم
إلا بدمعٍ من الإشفاقِ مُنجمٍ
ضراً من السُّهدِ، أو ضراً من الورمِ
وما مع الحبِّ إن أخلصتَ من سأمٍ
جعلتَ فيهم لواءَ البيتِ والحرمِ
شُمُّ الأئوفِ، وأنفُ الحادثاتِ حمي
في الصحبِ، صُحبتهم مرعيةُ الحرمِ
ما هال من جَلَلٍ، واشتد من عمِّ
الضاحكين إلى الأخطارِ والقُحَمِ
واستيقظت أُممٌ من رقدةِ العدمِ
تُديلُ من نِعَمٍ فيه، ومن نِقَمِ
أكرمٍ بوجهك من قاضٍ ومنتقمِ
ولا تزدُ قومَه خسفًا، ولا تُسمِ
فتمِّمِ الفضلَ وإمنحِ حُسنَ مُختَمِ





Le résumé:

Cette étude a pour but d'éclaircir l'apologie du prophète entre deux époques.

qu'est ce que l'apologie du prophète ? Et quels sont les résultats que nous pouvons réaliser de son étude ?

on peut souligner que :

- l'apologie du prophète est un poème qui vise directement de louer le prophète Mohammed que ALLah le bénisse.
- avec El Boussairi cet art a connu une évolution.
- Après , cet art grâce à Ahmed Chawki, a été traité d'une nouvelle manière par rapport aux autres époques.

Finalement ,cette simple lecture demeure un petit pas vers l'étude de cet art.



فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة

أ...ج

مردخل:

05 أولاً: التعريف بالشاعرين.

14 ثانياً: الحياة الثقافية في عصري الشعارين.

20 ثالثاً: المديح النبوي في الشعر العربي.

الفصل الأول: البردة ونهج البردة - دراسة تحليلية -

32 أولاً: البردة وأثرها في الشعر.

40 ثانياً: قراءة في بردة البوصيري.

53 ثالثاً: قراءة في نهج البردة لأحمد شوقي.

الفصل الثاني: بين البردة ونهج البردة - دراسة موازنة -

76 أولاً: ماهية الموازنة.

80 ثانياً: موضوعات المديح النبوي بين البردة ونهج البردة.

92 ثالثاً: الخصائص الفنية والفكرية بين البردة ونهج البردة.

107 رابعاً: جوانب التميز بين البوصيري وأحمد شوقي.

111 الخاتمة

114 قائمة المصادر والمراجع

الملحق

الملخص

فهرس الموضوعات





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

